المملكة العربية السعودية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
عمادة التعليم عن بعد
كلية الشريعة ـ الانتساب المطور

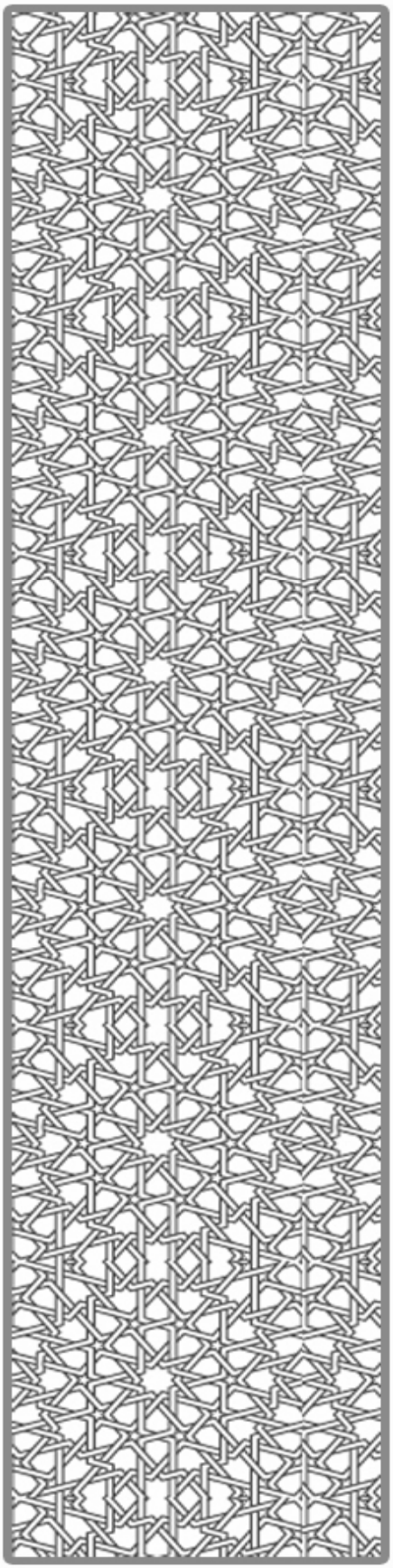

(سنة ٤٠٤)

مُقَرَرُ الحَدِيثِ

المستوى الثامن

أستاذ المقرر /
د . أحمد الباتلي

المذكرات تم تفريغها سماعًا من المحاضرات الصوتية

إعداد طلاب وطالبات كلية الشريعة

انتساب مطور

نسخة مدققة و مزيدة

١٤٣٣هـ

﴿ تـقـديـم ﴾

هذه هي الطبعة النهائية لمذكرات كلية الشريعة انتساب مطور تعليم عن بعد
وقد اعتمدت بتوفيق من الله بعد أن تم تدقيقها أكثر من مرة
من قبل طلاب وطالبات كلية الشريعة انتساب مطور
واخترنا أفضلها تدقيقاً وتم تلوينها وتنسيقها لتكون هي الطبعة النهائية
ولأنها جهد بشري لا يخلو من الخطأ ولا يصل للكمال
فنرجو عند وجود خطأ أو ملاحظة
كتابة تنبيه في الموضوع المخصص لذلك في منتدى المستوى الخاص بالمذكرة
في منتدى مكتبة كلية الشريعة: www.imam8.com

وسوف يتم تصحيح الأخطاء بعد التنبيه عليها من قبل القائمين على إعداد المذكرات

ونسأل الله جزيل الثواب لكل من يعين على ذلك ويشاركنا فيه

(مجموعة إعداد مذكرات كلية الشريعة انتساب مطور)

الحلقة (١)

كتاب القضاء .

تعريف القضاء :

القضاء في اللغة له عدة معاني ، وكل معنى له ما يؤيده من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولكن سنقتصر على بعض المعاني لئلا تتعدد التعريفات .

- **التعريف الأول للقضاء** : أنه بمعنى "**إحكام الشيء والفراغ منه** " قال تعالى : {فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ} فمعنى "قضاهن" أي: صنعهن بإحكام وقدرهن وخلقهن الله جلَّ و علا .
- **المعنى الثاني للقضاء**: بمعنى "**الحكم**" ، قضى بمعنى حكم ، قال تعالى :{وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ..} أي حكم وألزم جلَّ وعلا بإفراده بالعبودية ، والقاضي سمي قاضيًا ؛ لأنه يمضي الأحكام ويُلزِم بها ويوجبها على الناس .
- **المعنى الثالث من معاني القضاء** : يأتي بمعنى "**الأداء والانتهاء**" تقول "قضيت ديني" يعني أديته وانتهيت منه، ويؤيد هذا قول الباري جلَّ وعلا{فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ} يعني: أديتم وفرغتم من أداء مناسك الحج . إذًا القضاء يأتي بمعنى الفراغ الأداء والانتهاء من الشيء فكأنه فرغ منه.

التعريف الاصطلاحي للقضاء :

تعددت أيضًا تعريفات العلماء له ومن أشهر التعريفات :

- قولهم : هو "**الفصل في الخصومة بين خصمين فأكثر بالأدلة الشرعية**" ، يعني الفصل في المنازعات التي تقع بين المتخاصمين ويكون هذا الفصل حسب الأدلة الشرعية .
- تعريف آخر قيل: هو "**تبيين الحكم الشرعي ، والإلزام به ، وفصل المنازعات**"، والتعريفان متقاربان ولا مشاحة في الاصطلاح ، ولعل الأقرب هو التعريف الأول .

✓ الأدلة على أصل مشروعية القضاء :

- **الكتاب** :

ورد في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم بيان أهمية القضاء، فالقضاء له أصل في كتاب الله وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال الله تعالى: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥)} هذه الآية نلاحظ فيها توجيه من الله عز وجل للنبي -صلى الله عليه وسلم- وللصحابة في زمانه أنهم لا يؤمنون غاية الإيمان حتى يحكم النبي -صلى الله عليه وسلم- فيما شجر بينهم من خلافات ولا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما يقضيه النبي -عليه الصلاة والسلام - ، وإنما يسلموا تسليمًا بهذا، وفي قوله : {حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ} يعني قضيته بينهم، حكمت وألزمتهم به .

أيضًا كان القضاء عند الأنبياء السابقين مذكورًا في كتاب الله عز وجل في قوله تعالى: {يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ...(٢٦)} فالله يخاطب نبي الله داوود عليه السلام -وهو والد سليمان بن داوود عليهم الصلاة جميعا- .

هاتان الآيتان تدلان على أن للقضاء أصلًا في كتاب الله جلَّ وعلا ،

- **السنة :**

وهناك أحاديث وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم تدل على أن للقضاء أصلًا ، و تدل على مشروعية القضاء ، سنأخذها إن شاء الله في ثنايا هذا المنهج عند شرح الحلقات ، ولكن نشير إلى بعض منها ، كما في قوله صلى الله عليه وسلم : (إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإذا اجتهد وأخطأ فله أجر) متفق عليه من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه .

إذا اجتهد الحاكم -يعني القاضي- فأصاب فله أجران ، وإذا اجتهد وأخطأ فله أجر .

- **الإجماع :**

الإجماع محكي على مشروعية القضاء ، وضرورة أن ينصب بين الناس قاضٍ يحكم بينهم فيها شجر بينهم ، ويفصل بين الخصوم ، ويلزمهم بالعدل ؛ فالقضاء مجمع عليه .

ما هو حكم القضاء ؟

حكم القضاء فرض كفاية ، إذا قام به من هو أهل لهذه المهمة العظيمة أجزأ عن غيره من الذين يقومون بذلك أيضًا.

يقول الإمام أحمد: "لابد للناس من حاكم، أتذهب حقوق الناس؟". وحاكم يعني قاض .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- : قد أوجب النبي صلى الله عليه وسلم تأمير الواحد في الاجتماع القليل العارض في السفر، وهو تنبيه على أنواع الاجتماع والواجب اتخاذها دينًا وقربةً فإنها من أفضل القربات ، إذا كنا في سفر وأمَّرنا واحدًا ليقوم بمسؤولية هذه الرحلة وليفصل بيننا فيما اختلفنا فيه أليس من الأولى أن نجعل قاضيًا للناس عمومًا في البلد؟ أو مجموعة من القضاة ليفصلوا بين الناس في الخصومات ؟ بلى .

أيضًا القضاء في فيه فضل عظيم لمن قوي على القيام به وأداء الحق فيه؛ولذا جعل الله فيه الأجر والثواب وأن من اجتهد وأصاب له أجران ومن أخطأ فله أجر واحد ، والقضاء فيه أمر بالمعروف ، ونهي عن المنكر ، ونصرة للمظلوم ، وإصلاح بين الناس .

✓ ما هي الحكمة من القضاء ؟

- أولًا : نصرة المظلوم .
- ثانيًا : الأخذ على يد الظالم .
- ثالثًا : نشر العدل .
- رابعًا : قطع الخصومات .
- خامسًا : أداء الحقوق لأصحابها .

كما قال الإمام أحمد : "لابد للناس من حاكم ، أتذهب حقوق الناس؟" ، فلا بد أن يوجد بين الناس من يتولى القضاء لكي يؤدي هذا الواجب ،ولذلك النبي عليه الصلاة والسلام كان يرسل الصحابة قضاة في الأمصار ، فقد أرسل علي بن أبي طالب قاضيًا في اليمن ، وأرسل معاذ إلى اليمن، وأرسل أبا موسى الأشعري وغيرهم من الصحابة -رضي الله عنهم - .

وعلى من تولى القضاء أن يتقي الله عز وجل ، ويعلم أنه تولى أمرًا عظيمًا وعلى خطر عظيم ، فليحرص على أداء الأمانة ، وليتورع عن ذلك ، فقد كان السلف -رحمهم الله- يعتذرون ويمتنعون أشد الامتناع حتى يجبروا على ذلك خوفًا من الوقوع في الإثم العظيم في تولي حقوق الناس أو الوقوع في الخطأ ، ونحو ذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (من جعل

قاضيًا فقد ذبح بغير سكين) رواه الترمذي بسند جيد .

✓ **والناس في القضاء على ثلاث مراتب أو أنواع :**

- النوع الأول: **من يجب عليه القضاء** ، وهو من يصلح له ولا يوجد من هو خير منه ، فحينئذ عليه أن يقوم بهذا الأمر ويسأل الله الإعانة فيه .
- النوع الثاني: **من يجوز له لكن لا يجب عليه** ؛ لأنه من أهل العدالة والاجتهاد ويوجد غيره فله أن يلي القضاء أو يليه غيره ، فحينئذ لا يجب عليه .
- النوع الثالث: **من لا يجوز له الدخول في القضاء** ، وهو من لا يحسنه ولم تجتمع فيه شروط القاضي ، وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (القضاة ثلاثة ؛ واحد في الجنة واثنان في النار) وسيأتي هذا الحديث إن شاء الله في ذلك .

ومما ينبغي حقيقة أن يعلم أن الإنسان يتقي الله عز وجل ، ويسأل الله الإعانة والتوفيق على هذه المهمة العظيمة ، وأنصح من تولى مثل هذا العمل أن يبتغي وجه الله وأن يسأل الله عز وجل أن يوفقه للسداد والصواب في القول والعمل فإنه سيتولى رقاب الناس ويتولى أعراضهم ويتولى أموالهم ، فليتق الله عز وجل فيما يحكم به من قضاء ، وليتأنى وليحرص أيضًا على توخي العدل، وليحرص أيضًا على الاستخارة والاستشارة والتأني وعدم الاستعجال في إصدار الأحكام، وعليه الرفق واللين بالمتخاصمين ، وعليه أيضًا أن يحثهم على العدل ويحثهم على الصلح فيما بينهم ويخوفهم بالله من شهادة الزور ومن أكل أموال الناس بالباطل ومن القذف والافتراء ، نسأل الله أن يحفظ الجميع من كل سوء .

الحديث الأول :

حديث بريدة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (القضاة ثلاثة اثنان في النار وواحد في الجنة - وهؤلاء الثلاثة من هم؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم- رجل عرف الحق فقضى به فهو في الجنة ، ورجل عرف الحق فلم يقضي به وجار في الحكم فهو في النار، ورجل لم يعرف الحق فقضى للناس على جهل فهو في النار) .

أخرجه الأربعة وصححه الحاكم فهو "صحيح" .

☑ **ترجمة راوي هذا الحديث :**

هو بريدة بن الحصيب رضي الله عنه ، وهو من الصحابة غير المشهورين ، فحبذا أن نقف وقفات يسيرات مع ترجمته رضي الله عنه ، هو بريدة بن الحصيب بن عبد الله بن الحارث الأسلمي ، يكنى بأبي عبد الله ، أسلم حين مر به النبي صلى الله عليه وسلم مهاجرا ، الرسول لما كان في طريق الهجرة مر عليه فدعاه إلى الإسلام فأسلم ، وأسلم معه نحو ثمانين بيتًا من قبيلته ، أسلم وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاء الآخرة فصلوا خلفه ، وأقام الرسول بأرض قومه ، وهاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ومكث ما شاء الله أن يمكث ، وفي السنة الثالثة للهجرة لما جاءت غزوة أحد قدم على رسول الله بريدة بعد غزوة أحد فشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم المشاهد بعد أحد ، وشهد معه الحديبية ، وبيعة الرضوان التي كانت تحت الشجرة ، وسكن المدينة إلى أن توفي النبي -صلى الله عليه وسلم - ، ثم تحول إلى البصرة ، ثم خرج منها غازيًا إلى خرسان وأقام هناك بمدينة مرو حتى مات بها ودفن بها ، وبقي ولده هناك ، هذا فيما يتعلق بترجمة بريدة رضي الله عنه .

☑ شرح الحديث :

قوله -صلى الله عليه وسلم – (القضاة ثلاثة) كلمة "القضاة" جمع قاضي.

والقضاء في اللغة مصدر لـ (قضى، يقضي، قضاء، فهو "قاض") وسبق الكلام في أول الحلقة على أن القضاء له عدة معاني: بمعنى حكم، وبمعنى فصل، وبمعنى أتقن، وهو كما يقولون من المشترك اللفظي، يعني تتعدد ألفاظه، وسبق هناك الكلام عن معانيه اللغوية ومرادفاته .

وتعريف القضاء : هو تبين الحكم الشرعي والإلزام به وفصل المنازعات ، فحينئذ يتنبه إلى أن هذا هو تعريف الحكم الشرعي للقضاء .

الحلقة (٢)

☑ فقه الحديث :

يقول الإمام الصنعاني -رحمه الله -عن هذا الحديث: "والحديث دليل على أنه لا ينجو من النار من القضاة إلا من عرف الحق وعمل به، والعمدة على العمل، فإن من عرف الحق ولم يعمل به ،فهو ومن حكم بجهل سواء في النار ، وظاهر ذلك أن من حكم بجهل وإن وافق حكمه الحق فإنه في النار ؛ لأنه جاهل في قضائه".

أيضًا يقول الإمام البغوي في شرح السنة: "لا يجوز لغير المجتهد أن يتقلد القضاء، ولا يجوز للإمام توليته" ، قال: "والمجتهد من جمع خمسة علوم:

- علم كتاب الله القرآن الكريم .
- وعلم سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم -.
- وأقاويل علماء السلف من إجماعهم واختلافهم .
- وعلم اللغة .
- وعلم القياس ، وهو طريق استنباط الحكم من الكتاب والسنة، إذا لم يجده صريحًا في نص كتاب أو سنة أو إجماع فيجب أن يعلم من الناسخ والمنسوخ ما يجعله يعرف ذلك .
- أيضًا يجب أن يعلم الحديث الصحيح والضعيف والموضوع؛ لئلا يقضي بشيء من الأحاديث الباطلة ويستدل بها على بعض القضايا والأحكام وهذا يتنافى مع هدي خير الأنام، أيضًا إذا وجد حديثًا لا يوافق ظاهره الكتاب فإنه ينبغي عليه أن يحرص على تأمله ولا يستعجل في الحكم به إلا إذا رجع إليه في سنة النبي صلى الله عليه وسلم ، فإن السنة مبينة لكتاب الله عز وجل ،

ويقول الإمام ابن قدامة رحمه الله : الناس في القضاء على ثلاثة أضرب :

الأول: من لا يجوز له الدخول فيه، وهو من لا يحسنه ولم تجتمع فيه شروطه، أيضًا هو الثالث المذكور في حديث بريدة؛ ولأن من لا يحسنه لا يقدر على العدل فيأخذ الحق من مستحقه ويدفعه إلى غيره .

الثاني: من يجوز له ولا يجب عليه، وهو من كان من أهل العدالة والاجتهاد ويوجد غيره مثله، فله أن يلي القضاء بحكم حاله وصلاحيته، ولا يجب عليه لأنه لا يتعين عليه، هذا هو الثاني الذي يتصف بالعدالة ولكن يوجد غيره يقوم بذلك العمل ، ويقول الإمام أحمد: لا يستحب له الدخول فيه ؛ لما فيه من الخطر والضرر، وفي تركه من السلامة ولمن ورد من التشديد والذم؛ لأن طريقة السلف رحمهم الله الامتناع والتوقي عن ذلك، وقد أراد عثمان تولية عبد الله بن عمر القضاء

فأبى ورفض وامتنع بشدة رضي الله عنه .

الثالث: من يجب عليه أن يتولى القضاء ، وهو من يصلح للقضاء ولا يوجد سواه ، فهذا يتعيّن عليه ؛ لأنه فرض كفاية لا يقدر على القيام به غيره فيتعيّن عليه ، وقد نقل عن الإمام أحمد أنه يجب على مثل هذا أن يتولى القضاء .

إذاً هم ثلاثة أنواع ذكرهم الإمام ابن قدامة،رجل لا يصلح لتولي القضاء وهو من ليس عنده علم ورجل فيه عدالة وفيه خير وعنده علم ولكن يوجد من هو خير منه فإن تولى القضاء فيؤجر وإلا فلا يؤزر،الثالث هو الذي يتأكد في حقه تولي القضاء وهو من كان أهلا لتولي هذا المنصب العظيم وتوفرت لديه الأهلية في العلم والاستقامة والعدالة وثناء الناس عليه

أيضًا من الأمور التي ينبغي التنبه إليها أن السلف كانوا يتورعون ويتوقون في تولي القضاء، ما كانوا يحرصون عليه ولا كانوا يسعون إليه، بل كانوا يدفعون إليه دفعا ويلح عليهم حتى يوافقوا، وهذا يدل على أهمية هذا الأمر وعظم مسؤوليته .

☑ الأحكام المستفادة من هذا الحديث :

الأول: **مشروعية القضاء بين الناس**، لابد لولي الأمر أن ينصب قاضيًا بين الناس؛ ليفصل بينهم في الخصومات، وينصر المظلوم، ويحقق العدل ونحو ذلك .

الثاني: **فيه الحث على تولي القضاء لمن كان أهلًا له** .

الثالث: **التنبيه على خطورة القضاء ؛ لما يترتب عليه من الحقوق** ، فيتنبه إلى أن القاضي مسؤوليته عظيمة، ويحكم بين الناس في الرقاب والدماء والفروج والأموال والحقوق والأعراض، فلا بد أن يكون متقيًا لله، وأن يكون أهلًا لهذا الأمر العظيم .

الرابع: **أن الناجي هو من قضي بالحق عالمًا به** ، الناجي الذي يوفقه الله عز وجل بمنه وفضله ورحمته لدخول الجنة هو من قضى بالحق عالمًا به ، أما الاثنان الآخران فهما في النار نسأل الله العافية .

الخامس: **النهي عن تولي الجاهل للقضاء** ، وهذه حقيقة دعوة أولًا للطلاب جميعًا أن يحرصوا -وهم الآن في المستوى الثامن- على أن يتسلحوا بسلاح العلم، وأن يتزودوا من معرفة الأحكام الشرعية والمسائل الفقهية، فمن اختير منهم للقضاء يكون أهلًا لهذه المسؤولية والأمانة العظيمة، أما الجهال والطلاب الذين ليسوا من النابغين فلا يصلح أن يختاروا ولا يرشحوا للقضاء.

السادس: **الترغيب في العدالة، والترهيب من الجور والظلم** ، فالنبي -عليه الصلاة والسلام -إنما جاء لتحقيق العدل بين الناس، ورسالته رحمة للعالمين، والقضاء مهمته تحقيق العدل، وعدم الجور، ونصرة المظلوم، والصلح بين الخصوم، أو الحكم على الجائر منهم.

✦ الحديث الثاني :

حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من ولي القضاء فقد ذبح بغير سكين) أخرجه أحمد والأربعة وصححه ابن خزيمة وابن حبان . والأولى أن نقول أخرجه الخمسة ؛ لأن الإمام أحمد إذا ضم إلى الأربعة صاروا خمسة حسب اصطلاح الحافظ في بلوغ المرام ، فنقول: أخرجه الخمسة وصححه ابن خزيمة في صحيحه وابن حبان في صحيحه.

- هذا الحديث يدل على جوامع كلم النبي -صلى الله علية وسلم -وروعة بيانه فقد أوتي جوامع الكلم وأفصح البيان، يقول -عليه الصلاة و السلام- : (من ولي القضاء فقد ذبح بغير سكين) هذا من أجمل المعاني والتشبيهات البلاغية التي تدل على التحذير من القضاء بأسلوب مناسب يعرفه الناس في حياتهم اليومية .

☑ راوي الحديث :

أود أن أشير في لمحة عجلة فيما يتعلق براوي هذا الحديث، راوية الإسلام وناقل سنة خير الأنام أبو هريرة رضي الله عنه، الكل مر عليهم ذكر أبي هريرة كثيرا، ولكن أود أن أشير إلى بعض اللفتات في حياته وفي سيرته ومناقبه -رضي الله عنه.

اسمه عبد الرحمن بن صخر الدوسي، واختلف في اسمه كثيرا، ولكنه اشتهر بأبي هريرة، واشتهر بعبد الرحمن، أسلم عام خيبر، وشهدها مع النبي صلى الله عليه وسلم ولازمه، وأبو هريرة رضي الله عنه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم (٥٣٧٤ حديث)، وهو يعد أكثر الصحابة رواية للحديث، لا يوجد من الصحابة من هو أكثر منه رواية للأحاديث. طبعًا قد يتبادر للذهن يقول أحد: هل يعقل أن الصحابي يروي هذا العدد ؟! نقول: نعم،

وهناك أسباب وحوافز ودوافع أدت به رضي الله عنه إلى القيام بهذه المهمة ويروي هذا العدد :

أولها: ملازمته للنبي صلى الله عليه وسلم فكان يلازم النبي وكان ساكنًا في صفة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأيضا: دعاء النبي صلى الله عليه وسلم له بالحفظ، فقد دعا له النبي صلى الله عليه وسلم بالحفظ مع ما وهبه الله من صفاء الذهن وشدة الذكاء وتفرغه التام لسماع الأحاديث، فهذا كله يدل على ما وفقه الله عز وجل إليه من حفظ الأحاديث .

أيضا: تأخر وفاة أبي هريرة رضي الله عنه، حيث أنه توفي بالمدينة سنة تسعة وخمسين، جعل عددًا من التابعين يروون عنه، واحتاج الناس إلى علمه، ولذلك بلغ عدد الرواة عن أبي هريرة أكثر من ثمان مئة راوي من الصحابة ومن التابعين، واستعمله عمر رضي الله عنه على البحرين، وتوفي بالمدينة، هذه لمحة عجلى في سيرة هذا الصحابي الجليل راوية الإسلام .

☑ شرح الحديث :

هذا الحديث شرحه الإمام الخطابي في كتاب معالم السنن في شرح سنن أبي داوود فقال: "**بغير سكين**" يحتمل وجهين :

أحدهما : أن الذبح إنما يكون في ظاهر العرف بالسكين، فعدل النبي صلى الله عليه وسلم به عن ظاهر العرف وصرفه عن سنن العادة إلى غيرها، ليعلم أن الذين أراد بهذا القول إنما هو ما يخاف عليه من هلاك دينه دون بدنه، كأنه ذبح ولكن ليس بسكين، إذًا بماذا -نسأل الله العافية- ؟ بهلاك الدين؛ لأنه تولى هذا الأمر العظيم .

وقيل : إن الذبح هنا هو الوجه التي تزهق به الروح وإراحة الذبيحة من طول الألم، وهذا إنما يكون بسكين،(فإذا ذبح بغير سكين كان الذبح يسيرا) – أعتقد قصد الشارح غير يسير – ، ويكون بالخنق مثلًا أو نحو ذلك ، بالتعذيب، وضرب المثل بذلك ليكون أبلغ في التحذير.

إذًا يُفهم من هذا أن كلمة "ذبح بغير سكين" تحتمل وجهين :

- **الوجه الأول**: ما ذكر أن الناس اعتادوا أن الذبح يكون بسكين فبين أنه ذبح بغير سكين .
- **والأمر الثاني**: اعتاد الناس أن يكون الذبح بالسكين؛ لأنه أريح للشاة أو الغنم ، فكأنه ذبح خنقًا وتعديًا وتعذيبا، فحينئذ يكون هذا أبلغ في التنفير من القضاء وأنه مسؤولية عظيمة .

ونلاحظ أن هذا الحديث يدل على التحذير من تولي القضاء وعظم أمانته، وقول النبي صلى الله عليه وسلم"بغير سكين" للإعلام أنه لم يرد بالذبح قطع الأوداج التي تكون في الغالب بالسكين، بل أراد إهلاك النفس بالعذاب الأخروي .

وقيل: "ذبح" معناها ذبحًا معنويا، الذبح يكون معنويًا وهو لازم له؛ لأنه إن أصاب الحق فقد أتعب نفسه في الدنيا لإرادته الوقوف عن الحق وطلبه واستقصائه، وإن لم يصب الحق وأخطأ فينتظره عذاب في الآخرة.

وهذه المعاني **لا يمنع أن تجتمع**، سواء ما ذكره الخطابي أو ما ذكر في القول الأخير الذي نسب إلى الإمام الصنعاني، وهي

حقيقة تشير إلى أن من تولى القضاء فيخشى عليه من الهلاك والعذاب الأليم في دينه وهلاك نفسه إذا اجتهد وإذا كان القضاء بغير حق أو بغير اجتهاد ولم يحرص على توخي الحق، ويخشى عليه من العذاب الأخروي، فحينئذ دل على أن هذا المعنى هو الذي يتبادر إلى ذهن القارئ .

☑ الأحكام المستفادة من الحديث :

يؤخذ من هذا الحديث أحكام كثيرة :

أولًا: بيان عظم خطر القضاء والحكم بين الناس في الأعراض والدماء والأموال وكافة الحقوق .

ثانيًا: أن الذبح بغير سكين يشمل المعاناة في طلب الحق كما يشمل عذاب الآخرة ، مما يؤكد خطر القضاء .

ثالثًا: في الحديث دليل على أن الذبح بسكين وآلة حادة راحة للمذبوح والإماتة البطيئة عذاب وعناء ، فالنبي -عليه الصلاة والسلام -شبه في هذا الحديث (من ولي القضاء فقد ذبح بغير سكين) كأنه يريد أن يشير إلى أنه ذبح بإماتة بطيئة، وفيها تعذيب له، وفيها معاناة له وإتعاب، فدل ذلك على أن من ولي القضاء فلا شك أنه على خطر عظيم، فعليه أن يجتهد كل الاجتهاد عند تولي هذا المنصب؛ في أن يتعلم العلم النافع، وأن يقضي بالعلم، وأن يلزم الحق وأن يحرص كل الحرص على العدل بين المتخاصمين حتى في نظره، لا يجوز أن يلتفت إلى خصم ويترك آخر، ولا يستمع إلى خصم ويترك آخر؛ بل ينصت إليهما جميعًا، وينظر إليهما جميعًا ويتوخى أيضًا النصح لهما وحثهما أولًا على الصلح والعفو {فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ}، أو يحكم بينهم بالعدل .

الحلقة (٣)

☛ الحديث الثالث :

حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة ، فنعم المرضعة ، وبئست الفاطمة) . رواه البخاري.

هذا الحديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأحكام "باب ما يكره من الحرص على الإمارة". هذا من دقة تراجم البخاري رحمه الله.

- هذا الحديث يبين فيه النبي -صلى الله عليه وسلم- النهي عن تولي الإمارة، ولا سيما أعظم إمارة ألا وهي القضاء، وخطر أن الإنسان يطلبها ويحرص عليها.

☑ شرح بعض الكلمات الواردة في الحديث :

يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إنكم ستحرصون على الإمارة) ومعنى "**تحرصون**": تطلبون وتسعون وتتشوقون. وهذا الدليل على محبة النفوس للإمارة ؛ لما فيها من حظوظ الدنيا، ولما يكون بها من نفوذ ونفع الناس وما إلى ذلك.

و "**الإمارة**" **المقصود فيها**: الولاية ، وأعظم ولاية؛ ولاية القضاء؛ لأن فيها تولي حقوق الناس، وتولي أموالهم وأعراضهم.

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم في آخر الحديث: (فنعم المرضعة، وبئست الفاطمة). يقول الحافظ ابن الحجر في فتح الباري نقلًا عن الداودي: "**نعم المرضعة**" أي في الدنيا، تشبيه للدنيا بأنها مرضعة للإنسان، "**وبئست الفاطمة**" أي: بعد الموت في الآخرة، إذا مات الإنسان سيكون عليه المحاسبة والجزاء، كأنه يفطم عن ذلك الأمر الذي وقع فيه.

وقيل :"**نعم المرضعة**" لما فيه من حصول الجاه والمال، فكأن أعمال الدنيا التي هي الإمارة مرضعة فيها نقود فكذلك المرأة المرضعة تأخذ نقودًا مقابل الرضاع ونحو ذلك، "**وبئس الفاطمة**" يعني الانفصال عن الدنيا، فحينئذ يتبين أن ذلك مذموم لما فيه من التبعات عند الله يوم الآخرة .

وهذا الحديث جاءت فيه كلمة "بئس" مقرونة بالتاء، وإلحاق التاء في "بئست" دون "نعمت" -قال الحافظ ابن حجر-: الحكم فيهما لما كان فاعلهما مؤنثًا جواز الإلحاق وتركه، فوقع التفنن في هذا الحديث.

ويقول الإمام الطيبي في شرح المشكاة: لم يلحقها بنعم؛ لأن المرضعة مستعارة للإمارة، وتأنيثها غير حقيقي؛ فترك إلحاق التاء بها، وإلحاقها نظرًا إلى أن الإمارة حينئذ ستكون داهية دهياء، وإنما أتي بالتاء المرضعة والفاطمة إشارة إلى تصوير تلك الحالتين المتجددتين في الإرضاع والفطام.

☑ شرح الحديث :

هذا الحديث رواه البخاري في صحيحه في كتاب الأحكام، "باب مايكره من الحرص على الإمارة" .

ويقول الحافظ ابن حجر في شرح هذا الحديث: **ووجه الكراهة**: (لأن البخاري جعلها ترجمة الباب)، وجه الكراهة مأخوذ فيما سبق بالباب قبله، فيقصد البخاري في باب من سأل الإمارة وكل إليها ويقصد بذلك حديث عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**يا عبد الرحمن لا تسأل الإمارة، فإن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها**). والحديث رواه البخاري أيضا.

وكما **قلنا الإمارة المقصود بها الإمامة العظمى وهي الخلافة، أو الإمامة الصغرى وهي الولاية على البلدان، أو الولاية على الناس فيما يتعلق بالأحكام والحقوق والقضاء ونحو ذلك.**

ويتعين على الإمام أن يحرص على اختيار الولاة والقضاة الذين فيهم العدل والعلم والاستقامة، وأيضًا الذين لا يطلبون هذا الأمر؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (**والله إنا لا نولي هذا الأمر أحد سأله ولا أحد حرص عليه**). وكما جاء في حديث عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه أنه قال له النبي عليه الصلاة والسلام: (**يا عبد الرحمن لا تسأل الإمارة، فإنك إن سألتها وكلت إليها، وإن لم تسألها أعنت عليها**).

والإمام الصنعاني يقول: "يتعين على الإمام أن يبحث عن أرضى الناس وأفضلهم فيوليه القضاء". فلا يجوز حقيقة للشخص أن يولي رجلًا مثلًا من أقاربه أو لأنه يعرفه أو شيء من ذلك، فمن استعمل رجلًا على أناس وفيهم من هو خير منه، فقد خان الله ورسوله وجماعة المسلمين، كما جاء الحديث عند الحاكم والبيهقي .

وينبغي أيضًا أن يعلم الإنسان أن مسؤولية تولي حقوق الناس سواء الإمارة أو القضاء أو أي عمل يتولاه الإنسان سواء كان مديرًا أو أميرًا أو وزيرًا أو أي مسؤولية يتولاها الإنسان لا شك أنها مسؤولية، ويقول عليه الصلاة والسلام في حديث زيد بن ثابت مرفوعاً: (**نعم الشيء الإمارة لمن أخذها بحقها وحلها، وبئس الشيء الإمارة لمن أخذها بغير حقها تكون عليه حسرة يوم القيامة**). رواه الطبراني.

وأبو ذر رضي الله عنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: ألا تستعملني فضرب رسول الله على منكبه فقال: (**إنك ضعيف وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها**). رواه مسلم.

وهذا الحديث يقول الإمام النووي في شرحه: وهذا الحديث أصل عظيم في اجتناب الولايات، لا سيما لمن كان فيه ضعف عن القيام بوظائف تلك الولاية، أما الخزي والندامة فهو في حق من لم يكن أهلًا لها، أو كان أهلًا ولم يعدل فيها، فيخزيه الله تعالى يوم القيامة ويفضحه ويندم على ما فرط.

أما من كان أهلًا للولاية وعدل فيها، فله فضل عظيم تظاهرت به الأحاديث الصحيحة، كما جاء في قول النبي صلى الله عليه وسلم: (سبعة يظلم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله -أولهم من هو- : إمام عادل). ويقول عليه الصلاة والسلام: (إن المقسطين على منابر من نور). المقسطون هم العادلون الذين يحكمون بالعدل وبالحق.

ولذلك انعقد اجتماع العلماء على أهمية اختيار القضاة العدول الذين اتصفوا بالعلم والنزاهة والحِكمة والورع ، وينبغي حقيقة للشخص أن يحرص كل الحرص على عدم طلب الولاية ولكن إن اختير لها ووكل بها، فليسأل الله عز وجل الإعانة على ذلك، ويعلم أن العاقبة ليست بالسهلة؛ ولذلك يقول صلى الله عليه وسلم: (من طلب قضاء المسلمين حتى يناله فغلب عدله جوره فله الجنة ، ومن غلب جوره عدله فله النار). رواه أبو داود بإسناد حسن.

وينبغي حقيقة لنا أن نعلم جميعًا أن هذه الولايات ما هي إلا مسؤولية، ولا يظن الإنسان أن المسؤول فقط هو ولي الأمر الحاكم، كل من تولى شيئًا من أمور المسلمين، وكل من كان مسؤولًا في مدرسة، مديرًا في جامعة، في كلية عميداً، في الشرطة رئيساً، في العمال مشرفاً، كل من تولى في مستشفى في أي عمل من الأعمال أنت مسؤول أمام الله عز وجل عن ذلك، وستسأل عن هذه الأمانة وعن هذه المسؤولية التي وكلت إليها، فعلى الإنسان حقيقة أن يحرص كل الحرص على الإقبال على دين الله عز وجل والورع والتوقي في حقوق المسلمين وألا يتساهل في ذلك .

☑ الأحكام المستفادة من هذا الحديث :

أولًا: فيه ذم الحرص على طلب الإمارة وسوء عاقبتها على من لم يؤد حقها .

ثانيًا: لا ينبغي للمسلم أن يفرح بلذة دنيوية تعقبها حسرات أخروية ، كما قال الإمام البيضاوي في شرحه لهذا الحديث.

ثالثًا: جواز التشبيه لتقريب المعاني ، من أين أخذنا هذا الحكم؟. من قول النبي صلى الله عليه وسلم: (فنعم المرضعة ، وبئست الفاطمة).

والنبي عليه الصلاة والسلام لما قال: (نعم المرضعة ، وبئست الفاطمة) تشبيه للدنيا والآخرة، فهذا تقريب للمعنى، والتشبيه أمر محبب للنفوس؛ لما فيه من تقريب المعاني للناس، **وهذا حقيقة وسيلة تربوية** ، فعلى المعلمين والمعلمات الأخذ بهذه المبادئ التربوية لتقريب هذه العلوم للطلاب وتبسيطها، فمثلا: أحضر لهم صورة، أحضر لهم رسم يقرب لهم المعنى، ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم مرة من المرات خط للصحابة خطوطًا يبين لهم، والنبي عليه الصلاة والسلام مرة كان في سفر ومعه عصا مر بشجرة فخبطها فتحات ورقها فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (من قال سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر تحاتت خطاياه كما يتحات ورق الشجر). فدل هذا على أن هذه الأوراق وتساقطها تشبيه بليغ من النبي صلى الله عليه وسلم فيما يتعلق في مغفرة الذنوب، كأن سقوط الأوراق في خبطها بالورق مثل قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، يكون سببًا في مغفرة الذنوب فتتحات خطاياه كما يتحات ورق الشجر.

رابعًا: في هذا الحديث علم من أعلام النبوة، حيث أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأمر مستقبلي وقد حدث ما أخبر به ، قال: (إنكم ستحرصون على الإمارة)- يعني في المستقبل -ووقع هذا. والآن الناس تلاحظ في هذا الزمن يحرصون كثيراً ويوسطون ويتشفعون يقول لفلان ولفلان لعلك تشفع لي عند كذا، لعل تكلم لي المسؤول الفلاني ويكتب وهكذا.

وهذه كلها لا شك أنها من التقصير، وهذا مما يدل على الافتتان بالدنيا، وإلا الإنسان العاقل ينبغي عليه أن يحرص كل الحرص على السلامة من حقوق الناس، كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: "وددت أن أنجو كفافا لا أجر ولا وزر". وكان يقول: "اللَّهُمَّ إني أسألك السلامة من هول المطلع" يعني يوم القيامة. وكان يتوق رضي الله عنه ويحرص على ألا يلحقه شيء في ذمته، ولما أرسل له بما ترك له أبو بكر في أيام خلافته قال: لقد أتعبت من جاء بعدك يا أبا بكر. بل ينبغي على

المسلم أن يتورع كل الورع في عدم تولي هذه المناصب وهذه الحقوق إلا إن اختير هو ووكل إليها.

➢ قد يتبادر إلى ذهن بعض الطلاب سؤال: يقول: **إن يوسف عليه السلام قال لعزيز مصر**: {اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ}. **فهل هذا دليل على طلب جواز تولي الولاية ؟**

يقال: لا، ليس دليلاً صريحًا؛ لأن يوسف عليه السلام إنما طلب ذلك لأنه رأى في نفسه الأهلية والكفاية، ورأى أنه لا يوجد في ذلك الوقت من هو خير منه يقوم بهذه المهمة العظيمة، فحينئذ طلب -عليه السلام- من العزيز أن يجعله على خزائن الأرض، وقد طبق تلك الطريقة الاقتصادية في مسألة السبع سنوات يزرعون وسنة يوفرون وسبع سنوات يأتي القحط، الخطة الخمس عشرية التي طبقها يوسف عليه السلام.

إذًا نستفيد من هذا خطر طلب تولي الولاية، وعدم الحرص على الولايات، والعمل على أن الإنسان يتورع ويبعد نفسه عن حقوق الناس؛ لئلا يقع في شيء من المظالم أو يسيء إلى أحد أو يتسلط على أحد أو قد يحيف مع قريب له أو نحوه. ولا شك أن أخطر الولايات وظيفة القضاء؛ لأنه يتكلم في قضايا تتعلق بسفك الدماء واستلاب الأموال والاعتداء على الفروج والإفساد في الأرض، فينبغي على القاضي أن يكون عادلًا، حازمًا، عالمًا، حاكمًا بالعدل، لئلا يندم بعد ما يترك هذا المنصب أو حينما يدركه الموت فيقع في بعض المظالم التي تكون سببًا -نسأل الله العافية- في وقوعه في هذا الظلم.

خامسًا: **ينبغي على كل من تولى عملاً أن يحرص على دعاء الله التوفيق والتسديد** ، اسأل الله الهدى والسداد، والنبي عليه الصلاة والسلام كان إذا دعا يقول: (اللَّهُمَّ اهدني وسددني). يعني وفقني للخير وسددني فيه واجعلني صوابًا سداداً موفقا.

سادسًا: **من الأمور التي ينبغي للمسلم أن يحرص عليها أن يستخير**، والنبي عليه الصلاة والسلام كما جاء في الحديث كان يعلم الصحابة الاستخارة في الأمور كلها ، ولذلك يشرع بكل منا أن يستخير الله عز وجل، يصلي ركعتين وفي آخر هاتين الركعتين قبل أن يسلم يدعو بدعاء الاستخارة: اللَّهُمَّ إني أسألك بعلمك، واستخيرك بقدرتك، إن كنت تعلم لي في هذا الأمر خير فاقدره لي -ويسمي هذا الأمر- وهو مثلًا تولي منصب في القضاء، مدير، مسؤول، وإن كنت تعلم أنه لا خير لي فيه فاصرفني عنه واصرفه عني. والإنسان يسأل الله التوفيق والتسديد والسلامة من كل سوء.

سابعا: **من الأمور التي ينبغي للمسلم أن يحرص عليها بعد الاستخارة الاستشارة** ، يستشير من هم أكبر منه، ومن هم أعلم منه في هذه الأمور ويطلب خبرتهم ونصحهم، ويقول عليه الصلاة والسلام: (المستشار مؤتمن). ويقول أبو هريرة: "ما رأيت أحدًا أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم". فكن أخي الكريم حريصًا على استشارة إخوانك كما قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: {وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ} واحرص كل الحرص على الأخذ بمشورة الأناس الصالحين الناصحين العالمين الذين لديهم خبرة وفطنة ومعرفة وتجربة في الحياة، وإياك من التعجل، بعض الناس يستعجل في اتخاذ القرار ويوافق بسرعة، لا، عليك أن تتأنى وتسأل الله التوفيق والتسديد، يقول عليه الصلاة والسلام: (التأني من الله ، والعجلة من الشيطان) فاحرص وفقني الله وإياك لطاعته على ذلك .

الحلقة (٤)

الحديث الرابع :

حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران ، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر) متفق عليه . وهذا الحديث رواه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة "باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب وأخطأ"، وأخرجه مسلم في كتاب الأقضية "باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ".

☑ ترجمة راوي الحديث :

عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم القرشي السهمي، كان من أذكياء قريش، ومن الذين يقومون بالمهمات والسفارات لها، أرسلته قريش إلى النجاشي ليرد الصحابة الذين هاجروا إلى الحبشة ولكن لم يستجب له النجاشي، هداه الله عز وجل إلى الإسلام فأسلم في شهر صفر سنة ثمان من الهجرة قبل الفتح بستة أشهر، ولما أسلم عمرو بن العاص جعله النبي صلى الله عليه وسلم أميرًا على غزوة ذات السلاسل، واستعمله على عمان، وبقي بها إلى أن توفي النبي صلى الله عليه وسلم، وفي خلافة أبي بكر الصديق شارك في فتوحات الشام، وفي زمن عمر بن الخطاب هو الذي فتح مصر رضي الله عنه ولم يزل واليًا عليها إلى أن مات عمر، وأقره عثمان عليها أربعة سنوات ثم عزله، ولما قتل عثمان كان مع معاوية وعاضده وشارك معه في كثير من الحروب، وبقي في مصر رضي الله عنه إلى أن مات سنة ثلاث أو سبع أو ثمان وأربعين للهجرة، وكان - رضي الله عنه -معروفًا بشجاعته وذكائه وفطنته وفراسته، وكان من الدهاة العرب إذا عدوا، وتوفي بمصر رضي الله عنه وهو واليًا عليها هناك .

☑ شرح الحديث :

(إذا حكم الحاكم) قال العلماء أن الحديث فيه تقدير محذوف، وهو: "إذا أراد الحاكم أن يحكم فاجتهد"، قالوا: أما من ليس أهلًا للحكم فلا يحل له أن يحكم وليس له أجر، بل هو آثم في ذلك .

والإمام النووي يقول: "إنه قد أجمع المسلمون على أن هذا الحديث في حاكم عالم أهل للحكم، فإن أصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد لاجتهاده".

وقال الحافظ ابن حجر نقلًا عن الإمام ابن منذر: "إنما يؤجر الحاكم إذا أخطأ إذا كان عالمًا بالاجتهاد فاجتهد، أما إذا لم يكن عالمًا فلا". واستدل بحديث القضاة الثلاثة (أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : قاضيان في النار ، وقاض في الجنة) وفيه (وقاض قضى بغير الحق فهو في النار).

هناك توضيح للإمام الخطابي رحمه الله في هذا الحديث أنه قال: "إنما أجر المخطئ على اجتهاده في طلب الحق؛ لأن اجتهاده عبادة، ولا يؤجر على الخطأ بل يوضع عنه الإثم فقط، وهذا فيمن كان من المجتهدين جامعًا لآلة الاجتهاد عارفًا بالأصول وبوجوه القياس، أما ما لم يكن محلًا للاجتهاد فهو متكلف، ولا يعذر بالخطأ في الحكم، ويخاف عليه أعظم الوزر .

➢ مسألة :

المسألة هي خلاف العلماء هل كل مجتهد مصيب أم أن المصيب واحد ؟ ومن وافق الحكم الذي عند الله تعالى والآخر أخطأ فهل يعذر وليس عليه إثم ؟

هذه المسألة أجاب عنها الإمام الخطابي فقال: "ليس كل مجتهد مصيب، ولو كان كل مجتهد مصيب؛ لما كان لهذا التفسير معنى، وإنما يعطى هذا أن كل مجتهد معذور لا غير".

ويقول الإمام النووي: "الأصح عند الشافعي وأصحابه أن المصيب واحد".

ويقول بعض الفقهاء: "كل مجتهد مصيب". ويحتجون على هذا بحديث الباب.

وأما الشافعي حينما قال: "أن المصيب واحد"، قالوا: سماه مخطئ ولو كان مصيبًا لما سماه مخطئ بل قال أصاب، وأما الأجر فيكون على قدر تعنيه للاجتهاد .

والآخرون قالوا: قد جعل للمجتهد أجرًا، فلولا إصابته في الحكم لم يكن له أجر، وسمي مخطئ؛ لأنه محمول على من أخطأ النص أو اجتهد فيما لا يسوغ له الاجتهاد .

ومعلوم أن الاجتهاد مقتصر على الفروع دون الأصول الثابتة، **وينبغي أيضًا أن يعلم أنه لا مجال للاجتهاد في النص أو في الأصول الثابتة** ، المسائل العقدية الأصول العقدية لا يجتهد فيها، أركان الإسلام لا يجتهد فيها، ركعات الصلاة لا يجتهد فيها، هذه كلها توقيفية من الله؛ **إنما الخلاف في الفروع**، إذا كانت هناك بعض المسائل الفرعية فقد يأتي فيها شيء من الخلاف، **وأيضًا ينبغي أن يعلم أن الاجتهاد بابه مفتوح**، وليس بصحيح أن الاجتهاد قد أقفل وأنه لا يشرع لأحد أن يجتهد، بل مع الأسف بعض العلماء أنكروا وجود الاجتهاد، أو قالوا إن الاجتهاد مقيد أو نحو ذلك وقل وجوده، و هذا من تحجير الواسع .

ويقول الإمام الصنعاني: "لا يخفى ما في هذا الكلام من البطلان وإن تطابق عليه الأعيان". وقد بين الإمام الصنعاني بطلان هذا في رسالة اسمها "إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد"، وبين أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يجتهدون بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم في فهم كلام الله عز وجل وكلام رسوله عليه الصلاة والسلام، فحينئذ الاجتهاد سائغ ومتبع ومعروف ومشهور.

أيضًا ينبغي أن يعلم أن بعض الصحابة اجتهد في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وأقر النبي صلى الله عليه وسلم اجتهادهم، كما حصل من أمر عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه أصابته جنابة في ليلة شاتية فتيمم، فجاء للنبي صلى الله عليه وسلم وأخبره أنه صلى بقومه فأقره النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك، فحينئذ ينبغي أن نعلم أن الاجتهاد مشروع في المسائل الاجتهادية وهي في الفروع وليس في الأصول .

ولا بأس للإنسان أن يُعمِل عقله، والإسلام دين يحث على الرأي والجدال والاجتهاد في حدود الضوابط الشرعية، لا يكون ذلك مخالفًا لكتاب الله ولا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا مخالفًا لهدي السلف أو إجماع الأمة ونحو ذلك.

والاجتهاد أيضًا يكون فيما لا نص فيه، أما ما ورد فيه نص صريح ثابت فلا مجال فيه للاجتهاد ، ما ورد فيه النص من كتاب الله أو من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو من إجماع الأئمة فحينئذ لا اجتهاد فيه فليتنبه إلى ذلك .

أيضًا من الأمور التي ينبغي المعرفة فيها أن **الإسلام يحث على الاجتهاد، ويأجر المجتهد على اجتهاده** ، وهذا حقيقة أمر يجب أن يكون معلوم للجميع، أن الحاكم إذا حكم فأصاب فله أجران، وإذا حكم فأخطأ لكنه عن اجتهاد فله أجر

واحد، ويقاس على هذا كله أي عمل يقوم به المسلم، يعني المعلم مع طلابه، والمدير مع الأساتذة، والمشرف، والطبيب، وكل من عَمِلَ عَمَل اجتهد فيه فإن شاء الله فضل الله واسع ويؤجر عليه، لكن المطلوب من الشخص أن يجتهد، وأن يبذل جهده، وأن يكون حريصًا ناصحًا، لا أن يكون متسرعًا أو يجتهد في أمور لا مساغ للاجتهاد فيها -كما سبق فيما كان فيه النص وغير ذلك-.

أيضًا من الأمور التي ينبغي لنا أن يكون على بينة منها **أن لا نتوسع في الاجتهاد الذي يؤدي إلى مزيد من الاختلاف** ، بل نحرص على الاتفاق والائتلاف، ولنتحرى في ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: (**إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا أخطأ فله أجر**). أما ما يقال في حديث "اختلاف أمتي رحمة" فهذا حديث باطل لا أصل له، لا يصح الاجتهاد به، فاجتماع الأمة رحمة، فالاجتماع هو الخير، والتآلف مطلوب في ذلك .

الحديث الخامس :

حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه المتعلق بكتابه الذي كتبه إلى أبي موسى الأشعري حينما تولى القضاء، وهذا الكتاب "كتاب عمر في القضاء" كتاب مشهور، رسم فيه أبرز المعالم والتوجيهات التي ينبغي على القضاة أن يسيروا عليها، وهذا الكتاب أخرجه الإمام أحمد والدار قطني والبيهقي، وهذا مما يدل على أن الصحابة كانوا يكتبون أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانوا أيضًا يرسلون العلم، ويتبادلون الأحكام بينهم بالرسائل والكتب، وهذا يؤكد على أن الإسلام يحث على العلم .

نص حديث عمر وكلامه فيما أرسله إلى أبي موسى الأشعري لمّا تولى القضاء قال عمر رضي الله عنه: "**أما بعد : فإن القضاء فريضة محكمة ، وسنة متبعة ، فعليك بالعقل والفهم ، وكثرة الذكر ، فافهم إذا أدلى إليك الرجل الحجة ، فاقضي إذا فهمت ، وامضي إذا قضيت ، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ فيه ، وآسي** -يعني واسي- **بين الناس في وجهك ومجلسك وقضائك** ؛ – بمعنى / لا تلتفت لأحد دون أحد، واسي بين الناس، ويجلسون في مجلسك سواء هنا وهنا، لا يجلس واحد مرتفع والآخر منخفض، أو واحد قريب والآخر بعيد، بل يجلسون في مكان واحد، وكذلك في القضاء- **حتى لا يطمع شريف في حيفك، ولا ييأس ضعيف من عدلك** ، -ما أروع هذا الكلام ! يتكلم به أمير المؤمنين رضي الله عنه عمر بن الخطاب الخليفة الراشد حتى لا يطمع شريف من حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك". ماذا قال بعد ذلك ؟ أتى بالقاعدة الفقهية العظيمة التي تسير عليها إلى الآن -ولله الحمد- المحاكم والجهات الشرعية التي بينها لنا النبي صلى الله عليه وسلم فقال: **البينة على المدعي ، واليمين على من أنكر ، والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحًا أحل حرامًا أو حرم حلالًا ، ومن ادعى حقًا غائبًا أو بينة فاضرب له أمدًا ينتهي إليه ، فإن جاء ببينة أعطه حقه وإلا استحللت عليه القضية ، فإن ذلك أبلغ في العذر وأجلى للعمى ، ولا يمنعك قضاء قضيت فيه اليوم فراجعت فيه عقلك وهُديت فيه لرشدك أن ترجع إلى الحق ، فإن الحق قديم ، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل ، الفهم الفهم فيما يختلج في صدرك مما ليس في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم اعرف الأمثال ، وقس عند ذلك ، واعمد إلى أقربها إلى الله تعالى وأشبهها بالحق ، المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلودًا في حد ، أو مجربًا عليه شهادة زور ، أو ضنينًا في ولاء أو نسب أو قرابة ، فإن الله تعالى تولى منكم السرائر ، وادرأ بالبينات والأيمان** -ادرأ معناها ادفع بالبينات، اطلب البينة على المدعي واليمين على من أنكر- ، **وإياك والغضب** –وإياك؛ لأن القاضي لا يقضي وهو غضبان- ، **والقلق ، والضجر ، والتأذي بالناس عند الخصومة ، والتنكر عند الخصومات ؛ فإن القضاء عند مواطن الحق يوجب الله تعالى به الأجر ، ويحسن به الذكر ، فمن خلصت نيته في الحق ولو على نفسه كفاه الله تعالى ما بينه وبين الناس ، ومن تخلق للناس بما**

ليس في قلبه شابه الله تعالى ، فإن الله لا يقبل من العباد إلا ما كان خالصًا ، فما ظنك بثواب من الله في عاجل رزقه وخزائن رحمته ، والسلام ".

هذا كتاب عمر ابن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري حينما تولى القضاء، أرسله إليه رضي الله عنه، وهذا الكتاب يعد حقيقة دستورًا ومرجعًا ووثيقة فقهية قضائية كتبها عمر رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري.

☑ **الأحكام المستفادة من هذا الحديث ومن هذا الكتاب :**

أولًا: مشروعية الاجتهاد في الإسلام .

ثانيًا: الحث على بذل الجهد في الاجتهاد .

ثالثًا: أن الحاكم إذا اجتهد فأصاب له أجران .

رابعًا: أن الحاكم إذا اجتهد وأخطأ فله أجر واحد على قدر نصبه وبحثه عن الصواب في ذلك .

الحلقة (٥)

نتناول حديثًا مهما يتعلق بآداب القضاء وما ينبغي للقاضي أن يتصف عليه ويكون مهتمًا به ومحاذرًا من الوقوع فيه

الحديث السادس :

حديث عبد الرحمن بن أبي بكرة رضي الله عنه وعن أبيه قال: **كتب أبو بكرة إلى ابنه وكان بسجستان بألا تقضي بين اثنين وأنت غضبان ؛ فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (لا يقضين حكم بين اثنين وهو غضبان) .**

متفق عليه، رواه البخاري في كتاب الأحكام "باب هل يقضي القاضي أو يفتي وهو غضبان"، ورواه مسلم في كتاب الأقضية "باب كراهية قضاء القاضي وهو غضبان".

☑ **راوي الحديث :**

الصحابي الجليل أبو بكرة، وأبو بكرة هذا لقب تلقب به، واسمه نفيع بن الحارث بن كلدة الثقفي، وهو ممن نزل الطائف على رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما كان محاصرًا فيها، ربط نفسه في بكرة، -البكرة هي التي يتدلى منها الحبل ، مثل ما تسمى في اللغة العامة الآن مكرة تكن عليها الخيوط، فكان هناك بكرة جعل عليها حبل وربط نفسه فيه- ونزل من أعلى حصن الطائف إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الأرض، فأعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنّاه أبا بكرة، وكان من فضلاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودعى له الرسول مرة فقال: زادك الله حرصا، وكان كثير العبادة، وقد سكن البصرة، وتوفي بها سنة ٥١ أو ٥٢ للهجرة رضي الله عنه وأرضاه .

☑ **بعض الكلمات الغريبة في الحديث :**

يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يقضين حكم بين اثنين) هذه رواية البخاري. رواية مسلم في صحيحه (لا يحكم أحد). ولا يقضي، أو لا يحكم، كلاهما في الأحكام الشرعية والقضايا المتعلقة بها، والحُكم والحَكم يطلق على من يتولى هذه الأحكام، ومعنى ذلك "أن القاضي لا يحكم" يعني لا يصدر الحكم النهائي ، أما حينما يسمع القضية أو حينما يتكلم معهم هذا أمر آخر، لكن المقصود حال القضاء، حينما يصدر الحكم النهائي بالقضاء في تلك القضية .

☑ مسائل في الحديث :

المسألة الأولى : النهي في قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يقضي) ، النهي المصدر بلا ، وهي لا الناهية ، هل هو للتحريم أم للكراهة ؟

اختلف العلماء في ذلك، الإمام البخاري يلاحظ منه في ترجمته لهذا الحديث في صحيحه أنه قال: "باب هل يقضي القاضي أو يفتي وهو غضبان؟ " كأن البخاري قد تردد ولم يجزم لا بالكراهية ولا بالتحريم ، بينما الإمام النووي في شرح صحيح مسلم جزم بالكراهة فقال: "باب كراهة قضاء القاضي وهو غضبان" . هذا يعني ابتداء من يرى الكراهة، والإمام النووي، ومن توقف، والإمام البخاري .

أما الجمهور فقد حملوا النهي على التحريم، كما صرح بذلك الإمام الصنعاني ؛ وقالوا أن العلة في ذلك: هي ما يترتب على الغضب من عدم الصواب في الحكم وتشويش الفكر وشغل القلب عن استيفاء ما يجب فيه النظر من التأني والتروي وإصدار الحكم بقناعة تامة وعدم استعجال أو لحظة غضب، **وإن كان الغضب في القاضي يدفع به إلى عدم التمييز بين الحق والباطل، فيكون هنا محرم بالتأكيد إذا كان بهذه الصورة، ولا خلاف في التحريم، أما إذا كان القاضي من النوع الذي يحتد أو كذا فهذا مكروه**، فيفرق بين هاتين الحالتين.

وقول الحافظ ابن حجر على الإمام بن دقيق العيد أنه قال: فيه النهي عن الحكم في حال الغضب ؛ لما يحصل بسببه من التغير الذي يختل به النظر، فلا يحصل استيفاء الحكم على الوجه . قال: أن العلة هنا في ذلك: هي ما يحصل للفكر من التشويش وعدم استيفاء الحكم والنظر فيه .

هذا فيما يتعلق بحكم قضاء القاضي أو العلة التي من أجلها قيل لا يقضي القاضي وهو غضبان، وما حكم القضاء وهو غضبان هل للتحريم أو للكراهة؟ قلنا: بعض العلماء يرونها كراهة، والجمهور يرون التحريم، وهذا فيما يكون غضبه شديدا مستحكمًا، أما من كان غضبه يسيراً أو يستطيع أن يملك نفسه فالأمر يحمل على الكراهة .

المسألة الأخرى : هل يقاس على الغضب غيره من الأمور التي تشوش الذهن؟

هل يقاس عليه ما يشوش الذهن، كالجوع والعطش المفرطين، وغلبة النعاس، وما يتعلق بانشغال الذهن، مثل أن الإنسان أحيانا ينشغل ذهنه ببعض المكدرات من الحزن والهم ونحو ذلك، فهل يقاس على ذلك غيره أو لا ؟

بعض العلماء يرى أنه يقاس بسبب اتحاد العلة ، العلة في الأمرين معًا هي انشغال الذهن وتشتته وعدم تركيزه بالإتيان بالحكم صوابًا، فمن كان غضبان أو شبعان أو جائع فحينئذ لا ينبغي أن يقضي؛ لأنه يكون مشتت الذهن، ويُستدل على هذا بما رواه البيهقي من حديث أبي مسعود مرفوعًا:(لا يقضي القاضي إلا وهو شبعان ريّان)ولكن هذا الحديث ضعيف.

ويرى الحافظ ابن حجر نقلاً عن الإمام ابن دقيق العيد أن هذا الحديث يقاس عليه، يعني ما ذكر في الحديث من الغضب يقاس عليه مما يشغل الذهن ويجمع بينهما المشترك المعنوي وهو عدم صفاء الذهن، حينما يكون جائعًا أو متعبًا أو مشغول القلب ونحو ذلك .

⇦ لو حكم القاضي وهو غضبان هل ينفذ حكمه أم لا ؟

ذهب الجمهور إلى أن القاضي إذا خالف فحكم وهو غضبان فيصح حكمه إذا صادف الحق مع الكراهة، ويقول الحافظ ابن حجر رحمه الله:ويؤخذ من الإطلاق بأنه لا فرق بين مراتب الغضب ولا أسبابه، وكذا أطلقه الجمهور، وفصل إمام الحرمين والبغوي فقيد الكراهة بما إذا كان الغضب لغير الله، وقد استبعد هذا لمخالفته لظاهر الحديث وللمعنى الذي لأجله نُهي عن الحكم حال الغضب.

وبعض الحنابلة يرى أنه لا ينفذ الحكم حال الغضب ؛ لثبوت النهي عن ذلك والنهي يقتضي الفساد .

وفصل بعضهم بين إذا كان الغضب قد طرأ عليه بعد أن استبان له الحكم فلا يؤثر، أو في وقته فإنه يؤثر .

والنبي عليه الصلاة والسلام ورد أنه حكم وهو غضبان، ولكن يقال أن النبي صلى الله عليه وسلم قد عُصم من الخطأ في ذلك، فقد عصمه الله عز وجل ولو كان غضبان، كما حصل في قصة النبي صلى الله عليه وسلم مع الزبير ابن العوام والرجل الذي قال للنبي صلى الله عليه وسلم " ألأنه ابن عمتك؟! "، فغضب النبي وقال: (اسق يا زبير حتى يبلغ الماء إلى الجدر) ، **إذًا النبي عليه الصلاة والسلام حكم وهو غضبان ولكن حكمه** -بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم- **نافذ؛ لأنه معصوم عن الخطأ فيما يحكم به، وفيما يوحى إليه من خبر السماء ، أما في الأمور الدنيوية فالنبي بشر مثل أهله،** ولذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام للصحابة يوما: (لم تؤبرون؟) فتركوا النخل ولم يؤبروه ولم يثمر، فقال عليه الصلاة والسلام: (أنتم أعلم بأمور دنياكم). وهذا يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم ليس معصوما في أمور الدنيا، قد يخطئ وقد يصيب، أما فيما يخبر عنه في أمور الآخرة أو في الأمور الشرعية فإن الله سبحانه يعصمه ويوفقه للصواب.

☑ الأحكام المستفادة من هذا الحديث :

أولًا: جواز كتابة العلم ؛ لأنه أخذنا في الحديث أن أبا بكرة كتب إلى ابنه بسجستان، وهذا حقيقة خير ما يكتب وخير ما يبصر، ألا وهو العلم وتبليغ أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ونشر العلم، مثل: الآن تيسرت رسائل الجوال، البريد الإلكتروني، هذه ينبغي أن ترسل فيها معلومات نافعة، أحاديث شريفة، تفسير آيات، وغير ذلك، لا أن تكون مجرد لطائف وكلمات ترحيب وتهاني، ينبغي أن تستغل في العلم النافع، فكتابة الحديث كالسماع من الشيخ في وجوب العمل، وهي جائزة عند المحدثين، وهي من طرق التحمل الثمان إذا قورنت بالإجازة، فإذا قيل كاتبني وأجاز لي، أو قرأت في كتاب فلان، فهذا يدل على أنه جائز الرواية ومتثبت من ذلك.

ثانيًا: حرص الصحابة على ذكر الحكم مع دليله ، كيف ذلك؟ أبو بكرة رضي الله عنه كتب إلى ولده "لا تقضي وأنت غضبان"، ولم يسكت ولم يتوقف، بل قال: فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لا يحكم بين اثنين حاكم وهو غضبان). فدل هذا على مشروعية أن القاضي لا يقضي وهو غضبان .

نفهم من هذا حرص الصحابة على أن يقترن الحكم بالدليل، وهذا أحسن ما يكون؛ لأن الإنسان قد يقول ما دليلك؟ ما تستدل به؟ من يقول هذا؟ فإذا قلت قال الله تعالى، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، عرف القارئ أو المستمع إليك أنك تستدل بكلام الله وبكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثالثًا: شفقة الأب على ولده وإعلامه بما ينفعه، وتحذيره من الوقوع في المنكر، الولد عُين قاضيًا فالأب أرسل إليه يفيده بحديث سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحذره من الوقوع في هذا الأمر المنكر، وهذا حقيقة أحسن ما يكون في جوانب التربية بين الآباء والأبناء، ويجب حقيقة على الآباء أن يحرصوا على العناية بالأبناء حتى وهم كبار، ويمحضوهم نصحهم وتوجيههم، وعلى الأبناء الاستماع والانقياد وأن يقولوا {وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا}، ادع ربك: {رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} ، احرص على الدعاء: {أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ} فاحرص على الدعاء للوالدين، وكل ما أنت فيه من خير بفضل الله ثم الوالدين، هم سبب الخير بعد الله عز وجل لك، فاحرص وفقني الله وإياك لطاعته على أن تكون من أهل الخير في هذا المجال، وأيضًا ينبغي على الآباء أن يحرصوا على تعاهد الأبناء بالرسالة، بالموعظة، بالوصية، بالنصيحة، ولذلك نلاحظ في كثير من الآباء الشفقة على أبنائه، وحرصهم وحثهم على الخير وخاصة فيما ينفعهم .

رابعًا: **الحرص على نشر العلم للعمل به والاقتداء به وإن لم يسأل عنه** ، يعني أبو بكرة رضي الله عنه لم يسأله ولده القاضي بسجستان يقول لأبيه: أكتب لي حديث رسول الله، هو الذي بادر وأرسل إليه ليفيده ويعلمه بما سمعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكن يا أخي الموفق مبادراً حريصاً مسدداً في ذلك .

خامسًا: **النهي عن القضاء حال الغضب** ، هذا هو الشاهد . وسبق ذكر الخلاف: هل النهي للتحريم أم للكراهة؟ الله أعلم، ولكن عموما النهي عن القضاء حال الغضب؛ لأن الغضب مجمع كل شر نسأل الله العافية، والإنسان ما يتكلم بكلام باطل فيه لغو وفجور وجور إلا في حال الغضب.

جاء صحابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "يا رسول الله أوصني". فقال عليه الصلاة والسلام: (لا تغضب). كلمة واحدة فقط، لا تغضب . والله تعالى يقول:{وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}. بل إن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (من كظم غيظًا وهو يستطيع أن ينفذه أكرمه الله على رؤوس الأشهاد يوم القيامة).

فإياك إياك أخي الموفق أن تغضب، واحرص على أن تملك زمام نفسك، وابعد عن الأسباب المثيرة للغضب، وتجنب رفقة السوء الذين يشجعونك على الغضب والانفعال ويسببون لك المشاكل، عليك بالرفقة الصالحة، وعليك أيضًا بالاهتداء بهدي النبي صلى الله عليه وسم في حسن خلقه وتعامله مع الناس؛ لأنه لو تأملنا في سيرة النبي عليه الصلاة والسلام الأعرابي الذي جبذ رداء النبي عليه الصلاة والسلام إلى أن حز فيه صدره وحاشية البرد، يعني أثرت فيه وقال: "أعطني من مال الله الذي أعطاك يا محمد"، ومع ذلك لم يغضب عليه النبي عليه الصلاة والسلام ولم يدعوا عليه. بل الأعرابي الذي جاء وبال في المسجد عامله النبي صلى الله عليه وسلم بلطف ورفق، وقال: (أهريقوا على بوله سجلا من ماء). الصحابي الشاب الذي جاء للنبي صلى الله عليه وسلم وقال: "يا رسول الله ائذن لي بالزنا "، فلم يعاتبه النبي صلى الله عليه وسلم، بل قال: (أترضاه لأمك؟) ، وهكذا أرشده عليه الصلاة والسلام .

وأيضًا يقاس على الغضب ما يشتت الذهن من الجوع والنعاس والعطش والهم والحزن ونحو ذلك، فلا يقضي القاضي إلا وهو مرتاح البال خالي الذهن .

وأخيرا نختم بأن هذا الحديث يدل على حرص الشريعة الإسلامية على إيصال الحقوق إلى أهلها وتجنب الأسباب المؤدية إلى عدم ذلك من الغضب والجوع ونحو ذلك .

الحلقة (٦)

الحديث السابع :

حديثنا اليوم يتناول حديث أم سلمه رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنكم تختصمون إليّ ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض ، فأقضي له على نحو ما أسمع ، فمن قطعت له من حق أخيه شيء فإنما أقطع له قطعة من النار). متفق عليه .

هذا حديث أم سلمه توجيه من النبي صلى الله عليه وسلم للناس عند الخصومات، أنه يقضي على وفق ما يسمع صلى الله عليه وسلم منه، ولذلك يتنبه إلى ذلك، ولا يتساهل في أن الإنسان يتكلم بكلام فيه زور أو تزيين للباطل ونحو ذلك .

☑ **شرح بعض الكلمات الغريبة :**

في قول النبي صلى الله عليه وسلم: (تختصمون) مشتقة من خصم يخصم خصما وخصومة، والمقصود بها: النزاع الذي يقع بين اثنين وأكثر، يسمى خصومة .

وقوله: (ألحن بحجته) معناها: أزيد في الفهم، وقيل: معنى اللحن هنا الميل بالكلام عن جهته، ولذلك يقول: لحن في الكلام يعني مال بالصواب، مال عن اللفظ الصواب إلى اللفظ الخاطئ، فلحن بالقراءة أو نحو ذلك .

(فإنما اقطع له) يعني أعطيه قطعة من حق أخيه .

☑ الفوائد والأحكام الشرعية المستفادة من الحديث :

أولًا: أن الحاكم يحكم على نحو ما يسمع من الخصمين من قوة الحجة وبيان البرهان، فإذا اجتهد فأخطأ فلا إثم عليه، وإنما يؤجر على اجتهاده، كما في الحديث (إذا اجتهد فاخطأ فله أجر) لأنه بذل الوسع والجهد في ذلك.

ثانيًا: أن الذي يلحقه التبعة والإثم هو الذي كسب القضية بباطله، فإن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (فإنما أقطع له قطعة من نار) . فالإثم هنا على هذا الخصم سواء كان المدعي أو المدعى عليه الذي اقتطع حق أخيه وسلبه أرضه أو ماله بسبب تزيين الباطل وتدبيج الكلام فجعل القاضي ينخدع بكلامه .

وهنا أنبه إلى نقطة مهمة ألفت لها نظر إخواني وأخواتي في مستوى الثامن في كلية الشريعة على أبواب التخرج أسأل الله لكم التوفيق، قد يعمل البعض في مجال المحاماة، والمحاماة بطبيعتها هي الترافع والدفاع عن أحد الخصمين، فإياك إياك أخي الموفق أن تدافع عن باطل، لا تدافع إلا عن حق، أما ما يحصل من بعض المحامين أن يقول أنا سأخرجك من هذه القضية، وأنا سأتبرع بكذا وأدفع كذا وأنت تعطيني كذا من أجل أن نخرج فلان ويزورون بعض الحقائق ويأتون بشهادات مزورة وبشهود زور ويغيرون في الكلام ويبدلون في الشهادة فهذا باطل، فاحذر يا أخي الكريم ممن تريد العمل في المحاماة أن يكون هذا همك، بل احرص على أن تكون على حق وتدافع عن حق .

ثالثًا: قال الحافظ ابن حجر: وفيه أن من ادعى مالا، ولم يكن له بينة، فحلف المدعى عليه، وحكم ببراءة الحالف، أنه لا يبرأ في الباطن، ولا يرتفع عنه الإثم بالحكم، وهذا مذهب جمهور العلماء .

رابعًا: في هذا الحديث دليل على عظم إثم من خاصم في باطل ، حتى لو استحقه في الظاهر، فهو في الباطن حرام عليه وإن احتال حتى صار في الظاهر حقا فلا يحل له تناول الباطل .

إذًا هذا الحديث يدلنا على أمر عظيم ألا وهو أن القاضي ينبغي أن يستمع إلى الخصمين معا، وأن يقضي على نحو ما يسمع، وليحذر الخصمان من أن يترافعا بكلام باطل أو فيه تزوير وتزيين أو تزوير لبعض الحقائق فيقضي القاضي على نحو آخر.

الحديث الثامن :

عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (كيف تقدس أمة ؟ لا يؤخذ من شديدهم لضعيفهم). رواه ابن حبان في صحيحه .

وهذا الحديث له شاهد من حديث بريدة بن حصيب رضي الله عنه رواه البزار، وله شاهد آخر عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه رواه ابن ماجه.

وهذا الحديث بمجموع طرقه إسناده حسن، بل إن بعض العلماء يصحح هذا الحديث كالإمام ابن خزيمه وابن حبّان، ويقول الإمام الذهبي: إسناده صالح، ويقول الهيثمي: رجاله ثقات .

☑ شرح بعض الكلمات الواردة في الحديث :

في قول النبي صلى الله عليه وسلم (كيف تقدس أمة)، ما معنى تقدس؟ التقديس هو التطهير والتنزيه، وهذا معناها أن هذه الأمة كيف تكون طاهرة منزهة وهي لا تساوي في الأحكام بين الشريف والوضيع وبين الغني والفقير، والأمة هم

أتباع النبي صلى الله عليه وسلم .

وقوله (شديدهم) يعني قويهم وغنيهم، مثل الشريف ونحو ذلك، وهذا الحديث حقيقة من النبي صلى الله عليه وسلم حث للأمة على العدل والمساواة وعدم التفريط فيما بينهم، والله تعالى يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ}.

☑ بعض أحكام الحديث :

أولها: وجوب العدل بين المتخاصمين، وعلى القضاة أن يحرصوا على ذلك، وألا يحيفوا مع أحد على حساب أحد، وينبغي أيضًا أن يعلم أن هذا الحديث فيه مساواة بين الناس، الغني والفقير، والكبير والصغير، والشريف والوضيع،

ثانيًا: فيه دلالة على نصرة المظلوم، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (انصر أخاك ظالما أو مظلوما). والمظلوم معروف، ولكن الظالم معناها رده وكفه عن الظلم.

ثالثًا: ينبغي إنصاف الضعيف من القوي، وألا يتركه ليأكل حقه، فإن ذلك لاشك مظنة على عدم تطبيق مبدأ القضاء والتساوي والعدل في ذلك .

◆ الحديث التاسع :

حديث أبي مريم الأزدي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من ولاه الله شيئا من أمور المسلمين فاحتجب عن حاجتهم وعن فقيرهم، احتجب الله دون حاجته). أخرجه أبو داود والترمذي .

والحديث إسناده جيده، بل صححه الحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير وقال: هو إسناده جيد في فتح الباري، أما في التلخيص الحبير حديث صحيح .

☑ تفسير الكلمات الغريبة :

في قول النبي صلى الله عليه وسلم: (من ولاه الله) الولاية المقصود بها هنا من وكله، من ملكه الله عز وجل على أمر فجعله واليا، من ملكه ووفقه الله عز وجل بأن يتولى أمراً من أمور المسلمين .

(احتجب) معناها استتر، منه حجاب المرأة؛ لأنه يستر وجهها، حجاب البيت يعني ساتر يمنع البيت من أن ينظر إليه أحد من خارجه.

"الحاجة" هنا مقصود بها حوائج الناس وما يحتاجونه .

☑ الفوائد والأحكام المستفادة من هذا الحديث :

أولًا: يجب على من ولاه الله عز وجل أمرا من أمور المسلمين أن لا يحتجب عنهم، وأن يحرص على الجلوس لهم، وسماع شكاويهم وقضاء حوائجهم .

ثانيًا: أن من يقفل بابه عنهم بوضع الحجّاب أو نحو ذلك ففعله حرام، يأثم عليه ويجازى عليه يوم القيامة، والجزاء من جنس العمل؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (احتجب الله دون حاجته). نسأل الله العافية ونسأله ألا يحجب عنا حاجاتنا، وبذلك ينبغي للإنسان أن يحرص على أن يكون بابه مفتوحا، وعلى جميع من تولى القضاء والمسؤوليات وحاجات الناس أن يفتح بابه للناس، وأن يستمع إلى شكاويهم، ويقضي مصالحهم، وأن يساوي بينهم، ويلزمهم بالعدل.

وينبغي أيضًا كما قال العلماء أنه لا يتخذ القاضي في مجلس الحكم حاجبا ولا بوابا إلا لعذر، يعني ينظم الناس فقط ويرتب دخولهم؛ لأن الحاجب ربما قدم أحدا وأخر أحدا لغرض له، وليس للقاضي أن يحتجب عن الناس إلا في أوقات راحته، مثلًا يريد أن ينام، يريد أن يتناول الطعام، يريد أن يبحث بعض المسائل التي ليس وقتا للقضاء، ومثل الأشياء

الأساسية كالصلاة، وأداء حق الله عز وجل في العبادات فهذا فلا بأس به .

أيضًا ينبغي على كل من يتولى حقوق الناس أن يحرص على سماع دعاويهم، وأن يتقي الله عز وجل، وأن يحذر كل من يتولى عملا فيه تصدر لجمهور الناس ألا يستمع إلى بعض الناس دون بعض، بل عليه أن يسمع من الجميع، وهذا لا شك أنه تحقيق لمبدأ العدالة .

الحديث العاشر :

حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**لعن الله الراشي والمرتشي في الحكم**). وهذا الحديث رواه أحمد والأربعة وحسنه الترمذي وصححه ابن حبّان .

والحديث أيضًا له شاهد من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رواه الأربعة إلا النسائي، وهناك شواهد أخرى عن عائشة، وعن أم سلمه وغيرها .

☑ الكلمات الغريبة :

(**الراشي**): هو الذي يعطي المال لغيره لإعانته على الباطل .

أما (**المرتشي**): فهو الذي يأخذ هذا المال .

جاءت رواية ولكن بسند ضعيف، (**لعن الله الراشي والمرتشي والرائش**). من هو الرائش؟ هو الذي يسعى بينهما، يقول: تريد كذا ادفع كذا، إن أردت أن تصل إلى مبتغاك فعليك أن تدفع مبلغ وأنا أقوم بعمل اللازم، ونحو ذلك . هذا لا يجوز حقيقة؛ لأن فيه أولا دفع مال بالباطل، والشيء الثاني أكل لحقوق الناس، وتفضيل بعضهم على بعض، وأكل لبعض حقوقهم، آخذ من هذا وظيفة أو مالا أو عملا وأعطيه آخر؛ لأنه دفع لي رشوة، هذا محرم.

☑ بعض أحكام وفوائد هذا الحديث :

أولًا: لعن من أخذ الرشوة خاصة في الحكم، هنا الحديث نص عليه "في الحكم يعني في القضاء"، والحديث في باب القضاء ويقاس عليه كل من تولى عملا من أعمال المسلمين، فإنه يحرم عليه أن يأخذ الرشوة، والرشوة محرمة، ومن أخذها فهو ملعون. نسأل الله العافية والسلامة .

ثانيًا: يحرم بذل الرشوة وأخذها والتوسط فيها، يعني الذي هو الرائش يحرم أخذها والتوسط فيها والإعانة عليها؛ لأن ذلك من أكل أموال الناس بالباطل، وتغيير لحكم الله، بأن يقول إن دفعت مال أغير لك الحكم،

ثالثًا: فيها نشر للظلم، والإعانة للظالم، مسكين المظلوم ما عنده نقود يدفعها، فيأتي هذا ويدفع ويأخذ الحق، **والرشوة تعد من كبائر الذنوب؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لعن آخذها**، واللعن لا يكون إلا على كبيرة من كبائر الذنوب، وقد أجمع العلماء على تحريمها .

رابعًا: يحرم على القاضي قبول الهدية ، وهي الدفع للقاضي ابتداء من غير طلب منه، يعني كأن شخص يروح للقاضي ويقول أنا عندي هدية ودي أعطيك هذا القلم، هذه الساعة، هذا الجوال، هذه السيارة، وهكذا.. هذا يحرم لماذا؟ **لأنه متى ما قبل القاضي هذه الهدية فستكون لها أثر في نفسه، فقد يحيف في القضية** فيما بعد إذا جاء هذا الرجل له قضية أو نحو ذلك، فحينئذ يكون ممن يأخذ هذه الأموال وفيها شبهة، **هي ليست رشوة، لكنها في هذه الحالة تهمة**، ووسيلة لاستدرار عطف القاضي، ولذلك ينبغي على القضاة وعلى من يتولى أمرا من أمور المسلمين العامة أن يحفظ نفسه، وأن ينزه عرضه على أن يأخذ الهدايا التي تكون سببا في الوقوع في المحرمات، أو الإساءة إلى ذمته، والتعرض له بشيء من ذلك، فحينئذ

ينبغي على كل منهم أن يكون حاكما بالعدل، قاضيا بالقسط .

وهذا يدل حقيقة على مبدأ عظيم يسعى إليه الإسلام وهو مبدأ المساواة وتحقيق العدل، والحذر من استغلال النفوذ وبذل الأموال من أجل الحصول على بعض الأموال أو نحو ذلك، بل ينبغي على القاضي أن يكون نزيها ورعا متعففا بعيدا كل البعد عن الشبهات، (**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك**) بمعنى إذا جاءك شخص وقال أنا أدعوك لزيارة في كذا أريد، تفضل هذه تذاكر سفر، تفضل هذه هدية، تفضل هذا تخفيض، هذه الهدايا ما أعطيت لك إكراما لك، إنما أعطيت من أجل الحصول على تسهيلات من قبلك، أو الاستفادة من شيء من الصلاحيات الممنوحة لك، ونحو ذلك، فعلى إخواني القضاة طلاب العلم أن ينزهوا أنفسهم عن هذه الأمور وأن يبعدوا عن كل ذلك .

أيضًا أنبه إلى أمر أخير وهو **ضرورة تبليغ الجهات المختصة عمن يدفع رشوة**، وهناك ولله الحمد جهات لدينا أمنية مهمتها متابعة هؤلاء المرتشين من الموظفين؛ لأن هؤلاء حقيقة يخونون ولي الأمر، يخونون الأمانة ويفرطون في المسؤولية ولا يحققون مبدأ العدالة، ويقدمون أحدا على أحد من أجل بضعة ريالات تدفع له، من أجل أن يقدم فلان، له موعد يقدمه، له قبول، له وظيفة، له نقل من مكان إلى آخر، حصول على بعض الحوافز والترقيات، كل هذه -نسأل الله العافية- من الأمور المحرمات، فعلى الجميع الحذر من الوقوع فيها .

الحلقة (٧)

باب الشهادات .

✓ تعريف الشهادات :

الشهادات: لغة جمع شهادة .

والشاهد: هو الذي يدلي بشهادته.

تقول العرب شهد المجلس يعني حضره، كما نقول شهد الجنازة عدد غفير يعني حضرها، وشهد عند القاضي يعني أدى ما عليه من الشهادة وهكذا .

✓ الشهادة اصطلاحا :

هي الإخبار بما يعلمه بلفظ الشهادة (أشهد) .

يأتي الرجل إلى القاضي فيخبر بما يعلمه، بالشيء الذي رآه أو يعرفه عن هذا الرجل المتهم أو هذه الأرض المختلف عليها أو هذه الجريمة التي وقعت أو هذا المال المغصوب. تقول عند القاضي أشهد إن رأيت فلان يعمل هذا، وفلان يعمل كذا، ونحو ذلك. هذه هي الشهادة التي يدلي بها الشهود عند القاضي في المحكمة.

✓ الحديث الأول :

حديث عمران بن الحصين رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**إن خيركم قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يكون قوم يشهدون ولا يستشهدون ، ويخونون ولا يؤتمنون ، وينذرون ولا يوفون ، ويظهر فيهم السمن**). متفق عليه من حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما .

إذا الحديث في الصحيحين، رواه البخاري، ورواه مسلم، ويتناول خيرية هذه الأمة وخيرية القرون الثلاثة المفضلة .

☑ شرح بعض الكلمات الغريبة :

(خير القرون) يعني أفضل وأحسن القرون ، والقرون جمع قرن، والقرن اختلف فيه، والراجح والله أعلم أنه مائة سنة؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال مرة لأحد الصحابة (عش قرنا) دعا الله، عاش مائة سنة، وهناك أقوال، قيل أربعين، وقيل خمسين، وقيل سبعين، يعني لا يلتفت إليها بل المعمول به عند المؤرخين وعند كثير من اللغويين وعند الباحثين خاصة في الدراسات التاريخية والحديثية المتعلقة بالتراجم على أن القرن **مائة عام**، وهذا هو المعمول به الآن في التقويم الهجري ونحو ذلك .

يقول النبي عليه الصلاة والسلام عن من سيأتي بعد القرون الثلاثة المفضلة: (يشهدون ولا يستشهدون) يعني يحضرون للمجلس دون أن يطلب منهم، معناها: يأتون إلى القاضي ليدلوا بشهادتهم قبل أن تطلب منهم، مما يدل على مسارعتهم في أداء الشهادة قبل أن تطلب منهم .

(ويخونون ولا يؤتمنون): الخيانة ضد الأمانة، والخائن ضد الأمين .

(وينذرون ولا يوفون): معنى ينذرون: يكثرون النذر، وهو إلزام المكلف نفسه بأمر ليس واجب عليه. يعني أقول "لله عليّ نذر إن شفى مريضي لأذبحن كذا وكذا من الإبل أو لأسافرن إلى الحج، أو لأدفعن كذا صدقة"، فيلزم نفسه بأمر لا يجب عليه، (**يوفون**): يعني يوفون بالعهد وضده الغدر .

(يكثر فيهم السِمن): السِمن يقصد به البدانة، يعني سِمن أجسامهم لكثرة لحمهم وشحمهم وهذا كناية عن البدانة .

وهذا الحديث كما نلاحظ فيه إخبار من النبي صلى الله عليه وسلم على خيرية القرون الثلاثة الأولى المفضلة التي عاش فيها الصحابة ثم التابعون ثم أتباع التابعين، وفيه إخبار عن بعض علامات تكون في آخر الزمان وقد وقعت .

☑ الأحكام المستفادة من هذا الحديث :

أولًا: **دل الحديث على خيرية القرون الثلاثة المفضلة**؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (خيركم قرني)، فهذا دليل على خيرية القرون الثلاثة المفضلة، وهم: الصحابة، التابعون، أتباع التابعين . هذه ثلاثة طبقات من العلماء ومن الرواة ومن المحدثين ومن الأجيال التي تعاقبت من زمن النبي صلى الله عليه وسلم إلى ما بعده، ولا شك أن هذه الخيرية كانت بسبب وجود النبي صلى الله عليه وسلم مع هؤلاء الصحابة، ثم استمرار هؤلاء الصحابة في نقل العلم وهدي النبي صلى الله عليه وسلم إلى من بعدهم .

ثانيًا: **أن الصحابة هم أفضل القرون**؛ لأنه بدأ بهم (خير القرون قرني)، فهم أفضل القرون رضي الله عنهم وأرضاهم. والصحابة لا شك منزلتهم وفضلهم ومناقبهم معروفة للجميع فلا إشكال فيها .

ثالثًا: **في هذا الحديث دليل على عدم المسارعة في أداء الشهادة إلا حينما تطلب منك** .

رابعًا: **هذا الحديث يدل على أن الشاهد لو لحقه ضرر أو أذى أو تهديد في الشهادة فلا يلزمه الأداء بها**، وإنما يؤديها باختياره، ونصرة لأخيه، ولما فيها من نصرة المظلوم، وإظهار الحق وعدم كتمانه .

خامسًا: **في هذا الحديث دليل على فضل الوفاء بالنذر، وعدم التساهل فيه** .

- **قد يتساءل البعض عن الجمع بين هذا الحديث الذي يقول فيه النبي صلى الله عليه وسلم: (ثم يكون قوم يشهدون ولا يستشهدون)، وبين الحديث الذي رواه مسلم (ألا أخبركم بخير الشهداء، هو الذي يأتي بالشهادة قبل أن يسألها). وهذا الحديث رواه مسلم عن زيد ابن خالد الجهني .**

هذان الحديثان متعارضان في الظاهر، ويمكن أن يجاب عنهما أن يقال: أن المذموم أن يشهد قبل أن يستشهد، وهو

حديث عمران ابن الحصين، والممدوح الذي يبادر بالشهادة إذا كان فيها نصرة للحق ويترتب عليها إحقاق للحق، فيأتي إليهم ويخبرهم، فخير الشهداء هو الذي لا يسكت ويكتم الشهادة إذا كان فيها خير .

أيضًا الشهادة حقيقة ينبغي للإنسان ألا يكتمها، أو يتأخر فيها إذا طلبت منه؛ لأن هذا حقيقة من التعاون على البر والتقوى، ومن نصرة أخيك، ومن براءة الذمة، وإحقاق الحق، وتحقيق العدل .

الحديث الثاني :

حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة ، ولا ذي غمرٍ على أخيه ، ولا تجوز شهادة القانع لأهل البيت**). رواه أحمد وأبو داود وإسناده حسن .

الحديث كما تلاحظون فيه أنواع للشهداء الذين لا تقبل شهادتهم.

شرح الكلمات الغريبة :

(**لا تجوز شهادة خائن**) الخائن هو ناقض العهد وخائن الأمانة .

(ذي غمرٍ) بفتح الغين وفتح الميم[1]: المراد به صاحب الحقد والشحناء، على أخيه. هذا لا يجوز أن آتي به ليشهد على أخيه .

أيضًا (لا تجوز شهادة القانع)، من هو القانع؟

القانع هو: الخادم لأهل البيت، لا يجوز أن يشهد لأهل البيت الذي يعمل عندهم؛ لأنه سيجاملهم وسيحابيهم وسيحيف معهم، وقد لا يأتي بالشهادة على وجهها مخافة أن يقطعوا رزقه أو يترك عمله ونحو ذلك.

هذه الأصناف التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم أربعة: الخائن، والخائنة، وذي غمرٍ وهو الحاقد، والخادم لأهل البيت.

☑ ننتقل إلى الأحكام المستفادة من الحديث :

أولًا: دل هذا الحديث على أنه لا تقبل شهادة أربعة من الناس، وهم: الخائن، والخائنة، والحاقد، والخادم لأهل البيت .

ثانيًا: ذكر الحديث أن من كان فيه مانع من موانع الشهادة فإنها لا تقبل شهادته، ونص النبي صلى الله عليه وسلم على الخائن وهو الذي نقض العهد وليس بأمين، وصاحب الحقد والشحناء لا تقبل شهادته كذلك، وكذلك الخادم لأهل بيته.

أيضًا لا تقبل شهادة أحد الزوجين على بعض؛ لأن كل منهما يتبسط في مال الآخر، فالتهمة موجودة.

أيضًا ذكر الفقهاء من الأصناف الذين ترد شهادتهم: شهادة الأب لولده، أو الولد على أبيه، فلا تقبل شهادة بعضهم على بعض، قال ابن رشد: اتفقوا على رد شهادة الأب لأبنه والابن لأبيه، وكذلك الأم لابنها أو ابنتها، والسبب في ذلك لتهمة القرابة، فقد يحابي الأب ابنه والابن يحابي والده كذلك .

لكن تقبل شهادة من هما من عمودي النسب، يعني الأخوة مع الأخوات، والأخوة مع الإخوان، ليس في ذلك بأس؛ لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ} فحينئذ يتنبه إلى أن هذه الأنواع لا تقبل فيها الشهادة .

ننتقل بعد هذا إلى حديث آخر يتعلق بشهادة الزور، وهي شهادة الكذب نسأل الله العافية .

الحديث الثالث :

هذا الحديث هو ما ثبت في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم كان جالساً في مجلس مع الصحابة يوما فقال: (**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر، قالوا: بلى يا رسول الله. فكررها النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثا: ألا أنبئكم بأكبر الكبائر. ألا**

[1] الصواب سكون الميم والله أعلم

أنبئكم بأكبر الكبائر. ألا أنبئكم بأكبر الكبائر. والصحابة يقولون: بلى يا رسول الله. فقال عليه الصلاة والسلام: الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، -وكان النبي صلى الله عليه وسلم جالسا متكأ، فجلس وعدل من جلسته وقال:- ألا وقول الزور، ألا وقول الزور). فما زال يكررها حتى قال الصحابة ليته سكت)، يعني خافوا على النبي صلى الله عليه وسلم من التعب والإجهاد الذي لحقه بسبب تكراره عليه الصلاة والسلام إلى النهي والتحذير من شهادة الزور. والحديث في الصحيحين .

"**كلمة الزور**": المقصود بها الباطل، وهي الشهادة الكاذبة -نسأل الله العافية-، حينما يؤتى بشخص ليشهد شهادة باطلة يدفع له بعض الناس نقودا ويقولون إذا سألك القاضي عن كذا قل لا أبدا ما شفته وإلا قل فعلا هذا أنا رأيته هو الذي قتل هو الذي سرق، يشهد شهادة باطلة.

➢ مفاسد شهادة الزور :

أولًا: فيها أكل أموال الناس بالباطل .

ثانيًا: فيها إظلال للقضاة؛ ليحكموا بغير ما أنزل الله؛ لأنه يسمع كما جاء في الحديث النبي عليه الصلاة والسلام قال: (إنما أقضي بنحو ما أسمع). إذا فيها سبب لإضاعة الحقوق وحرمان صاحب الحق من حقه، والنبي عليه الصلاة والسلام اهتم بها وكرر الإخبار بها وأتى بحرف التنبيه: "ألا وشهادة الزور"، وهو يكرر هذا مما يدل على أن هذه الشهادة خطرها عظيم وإثمها جسيم .

وينبغي للإنسان أن يحذر كل الحذر من الوقوع في شهادة الزور أو أن يغري أحدا بها ، فلا يجوز لأحد أن يشهد على أحد بتلك الشهادة الباطلة، أو يدفع لأحد نقودا، أو يقول والله أنا بتبرع لأجل أعفي فلان أو يطلع براءة، هذا لا يجوز وهو من الإثم، فعلى الإنسان أن يتنبه إلى أنه لا يمكن أن يقول أو يشهد بشيء إلا إذا كان حقا، وعلى الإنسان أن يتحرى الصواب والعدل ليكون متصفا بذلك .

وعلى القضاة أيضًا أن يحرصوا وفقهم الله على التثبت من الشهود ،

أولًا: أن يكون الشاهد عادلا أي مستقيماً في ظاهره.

ثانيًا: عليهم اختبار الشهود ، بعض القضاة يعمل هذا، إذا شهد الرجل قال: والله رأيت، أشهد إني رأيت فلان هذا هو القاتل، عليه أن يختبره، يقول له متى رأيته؟ الساعة كم؟ ماذا كان يلبس؟ في أي مكان؟ في الليل أو النهار؟ بأي أداة قتل؟ معه سلاح؟ وهكذا.. يختبره، وهذه فيها فائدة وهي التحقق من صدق الشاهد، وهذا اختبار للشهود وتحقيق معهم وتمحيص لعدالتهم واستيفاء لما يخبرون به .

➢ الحديث الرابع :

عن ابن عباس رضي الله عنهما (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بيمين وشاهد). أخرجه مسلم في صحيحه.

هذا الحديث نفهم منه جواز الحكم بالشاهد الواحد ، وأيضًا الحكم باليمين الواحدة فقط، وبعض العلماء يرى أنه لابد من شاهدين، وهذه القضايا إنما ترجع إلى الحكّام وإلى القضاة في تحديدها، فإذا قضى بالشاهد واليمين فالحكم بالشاهد وحده جائز وتقويه اليمين وهو منصوص الإمام أحمد. إلا في بعض القضايا التي لها أحكام خاصة أنه لابد من شاهدين عدلين، كما قال تعالى: {وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ}، أيضًا هلال رمضان تقبل شهادة شاهد واحد عند الدخول، ولكن لابد من شاهدين عند الخروج، أما في الزنا فلابد من أربعة شهود .

الحلقة (٨)

باب الدعاوى والبينات .

✓ تعريف الدعاوى والبينات :

- **التعريف اللغوي للدعاوى :**

الدعاوى: جمع دعوى، وهي في اللغة الطلب، والدليل قول الله تعالى: {وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ} أي يطلبون ويتمنون .

- **التعريف الاصطلاحي للدعاوى :**

الدعوى عند الفقهاء: هي إضافة الإنسان إلى نفسه استحقاق شيء في يد غيره أو ذمته. بمعنى: أنا أدعي على فلان من الناس أن هذه الأموال التي في يده لي، أو هذه المزرعة التي بنا عليها أو زرع فيها هي لي. هكذا يعرف الفقهاء الدعوى.

- **التعريف اللغوي للبينات :**

البينات: في اللغة جمع بينة، وهي العلامة الواضحة .

- **التعريف الاصطلاحي للبينات :**

البينة :هي كل ما يبين الحق من شهود أو يمين.

☚ الحديث الأول :

حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**لو يعطى الناس بدعواهم لأدعى ناس دماء رجال وأموالهم ، ولكن اليمين على المدعى عليه**). متفق عليه .

وللبيهقي بإسناد صحيح: (**البينة على المدعي واليمين على من أنكر**).

وهذه العبارة من أجمع العبارات الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم في أحكام القضاء، وتعتبر قاعدة فقهية قضائية يرجع إليها اليوم جميع القضاة، وجميع الحقوقيين والمحامين، وجميع المؤلفين في المرافعات الشرعية، فيقولون البينة على المدعي واليمين على من أنكر. بأبي أنت وأمي يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أوتيت جوامع الكلم، فجمعت دساتير القضاء في كلمتين، عبارتين جميلتين رائعتين (**البينة على المدعي ، واليمين على من أنكر**) .

☑ معاني بعض الكلمات :

(**البينة**): العلامة الواضحة .

(**اليمين**) تطلق على الحلف بالله عز وجل ، وهذا هو المراد بها في هذا الحديث .

☑ الأحكام المستفادة من هذا الحديث :

أولًا: **أن من أدعى على أحد دعوى فإن عليه الإثبات والبينة على دعواه، فإن لم يكن له بينة، فعلى المدعى عليه اليمين لنفي ما أدعي عليه به من الحق**. إذا لو أن شخصا أدعى على شخص دعوى فعلى المدعي البينة، وعلى المدَّعى عليه اليمين إذا أنكر تلك الدعوى .

ثانيًا: **ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الحكمة في كون البينة على المدعي واليمين على المنكر**، وهي أنه لو أعطي كل من أدعى دعوى لا يراقب الله عز وجل فيها ولا يخافه لأكلوا أموال الناس واستحلوا دماءهم -نسأل الله العافية-، ولكن الله عز وجل وهو عدل سبحانه جعل حدا بين العباد يحتكموا إليه على لسان النبي صلى الله عليه وسلم .

ولذلك يقول الإمام ابن دقيق العيد: "الحديث يدل على أنه لا يجوز الحكم إلا بالقانون الشرعي الذي رُتب، وإن غلب على الظن صدق المدعي" .

ثالثًا: أن اليمين على المدعى عليه، والبينة على المدعي، كما في رواية البيهقي (البينة على المدعي، واليمين على من أنكر)، وذلك أن اليمين تكون في الجانب القوي من المترافعين، وجانب المدعى عليه بلا بينة هو الأقوى، فالأصل براءة الذمة، فالمدعى عليه جانبه هو الأقوى فاكتفي منه باليمين .

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "الذي جاءت به الشريعة أن اليمين تشرع من جهة أقوى المتداعيين، فأي الخصمين ترجح جانبه جعلت اليمين من جهته". وهذا مذهب جمهور العلماء .

رابعًا: البينة ممن تتألف؟ ما هي البينة؟ مم تتكون؟ قال العلماء البينة: هي الشهود، أو الأيمان -يعني الحلف بالله عز وجل-، أو النكول، وهي عند المحققين كالإمام ابن رجب يقول: "كل عين لم يدعيها صاحب اليد فمن جاء فوصفها بأوصافها الخفيفة هي له، فإن نازعه أحد ما في يده فهي لصاحب اليد". إذا يتبين أنها له ما لم يأتي ببينة أقوى .

خامسًا: أن هذا الحديث قاعدة عظمى من قواعد القضاء، فعليه تدور غالب الأحكام، (البينة على المدعي واليمين على من أنكر). وهذا الحديث كما قلت يعد من أصول القضاء بين الناس عند التنازع .

سادسًا: هذا الحديث يدل على أن من كان عليه دين أو حق ثابت في ذمته وطولب به، فأدعى أن ذمته برئت بوفاء أو إسقاط أو صلح، فالأصل أن ما في ذمته باقٍ، فإن لم يأتي ببينة على الوفاء والبراءة، فإن له على صاحب الحق اليمين على أن حقه لا يزال باقيا في ذمته، لماذا؟ لأن الأصل بقاء ما كان على ما كان .

ومثل ذلك دعوى العيوب، ودعوى الشروط، لو أن شخصا ادعى أن سلعة فيها عيب أو فيها شرط، فكذلك يلزمه أن يحضر البينة، وعلى المنكر اليمين .

سابعًا: هذا الحديث يعد من أصول المرافعات الشرعية، وهذا المنهج يدل على قاعدة فقهية قضائية عظيمة، ولذلك ينبغي التنبه إليه، وأن الإنسان عليه أن لا يتسرع في الحكم إلا ببينة، ولذلك النبي عليه الصلاة والسلام يقول: (لو يعطى الناس بدعاواهم) يدل على أن لو أدعى شخص على شخص مال أو دم فلابد من بينة ونحو ذلك، فلا ينبغي التسرع في ذلك؛ لئلا يتساهل الناس في الدماء أو الأموال والحقوق .

الحديث الثاني :

عن أبي إمامة الحارثي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة) فقال له رجل: "وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله؟" قال: (وإن كان قضيبا من أراك). رواه مسلم .

هذا حديث عظيم يدل على أهمية الوفاء بحقوق الناس وعدم أخذ شيء منها إلا بحق حتى ولو كان يسيرا.

☑ شرح الكلمات الغريبة :

يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (وإن كان قضيبا) القضيب هو الغصن من الشجرة. وعبر النبي صلى الله عليه وسلم بالأراك وهي شجرة السواك التي تقتطع منها أعواد السواك، وكما نعلم أنه يكون عبارة نبات يأتي من أغصان أشجار تكون في الأرض.

الحديث الثالث :

عن الأشعث بن قيس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من حلف على يمين يقتطع بها مال امرئ مسلم هو فيها فاجر، لقي الله وهو عليه غضبان). متفق عليه .

☑ الأحكام المستفادة من الحديثين السابقين :

أولًا: هذان الحديثان يدلان على أمر عظيم ووعيد شديد لمن اقتطع مال امرئ مسلم بغير حق، وإنما اقتطعه بيمين كاذبة، وبيمين فاجرة، وهي تسمى اليمين الغموس، فهذا يلقى الله عز وجل وهو عليه غضبان، ومن غضب الله عليه فهو هالك.

ثانيًا: هذان الحديثان يدلان على تحريم أخذ أموال الناس وحقوقهم بالدعاوى الفاجرة والأيمان الكاذبة وأنها من كبائر الذنوب؛ لأن ما ترتب عليه غضب الحليم جل وعلا فهو كبيرة، والتعبير بكلمة مسلم (اقتطع بها مال امرئ مسلم) من باب التعبير بالغالب، وإلا فمال المعصوم كالذمي والمعاهد لا يجوز أن يأخذ منه شيء، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: (هو فيها فاجر) ليخرج الناسي والجاهل، فإن العقاب لا يستحقه إلا العامد المتعمد .

ثالثًا: هذا الحديث فيه فائدة عقدية ألا وهي إثبات صفة الغضب لله عز وجل، لقوله : (وهو عليه غضبان). يثبت صفة الغضب لله عز وجل إثباتا يليق بجلاله وعظمته {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}.

رابعًا: أن أموال الناس حرام قليلها وكثيرها، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (وإن كان قضيباً من أراك) يريد بذلك الشيء الحقير الصغير القليل، فكيف بمن يأكل أموال الناس الكثيرة ومن يتعدى على أموالهم وحقوقهم وأراضيهم ومزارعهم، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في حج الوداع: (إن دماؤكم وأعراضكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا) والحديث في الصحيحين. ويقول النبي صلى الله عليه وسلم في آخر الحديث الأول: (حرّم الله عليه الجنة)، و تحريم الجنة هنا تحريم أمدي وليس تحريم أبدي، فيجب أن نفرق. **التحريم الأبدي هذا ممن مات مشركًا أو كافرًا فقد حرم الله عليه الجنة، أما من ارتكب شيئًا من الذنوب والكبائر فإنه لا يدخل الجنة مع من يدخلها أولا، وإنما يعاقب بالنار فيطهر من ذنبه، ثم يخرج بفضل الله ورحمته إلى الجنة.** قال العلماء: إنه لا يخلد في النار وإنما يعذب تعذيباً على قدر كبيرته.

والنبي عليه الصلاة والسلام ينبه في هذا الحديث إلى الحذر من أكل أموال الناس بالباطل وباليمين الفاجرة، وعدم التساهل بأموالهم الكثيرة والقليلة، فليحذر الذين يأكلون أموال الناس خاصة الأموال القليلة، مثل شخص يستأجر عاملا ليعمل عملا في المنزل أو مزارعا أو إصلاح شيء معين بمبلغ زهيد ويقول فيما بعد سأقضيك أجرك، لا يجوز، النبي عليه الصلاة والسلام يقول: (أعط الأجير أجره قبل أن يجف عرقه). رواه ابن ماجه .

الحديث الرابع :

حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من حلف على منبري هذا بيمين آثمة تبوأ مقعده من النار). رواه أحمد وأبو داود والنسائي وصححه ابن حبّان .

وهذا الحديث كما نلاحظ أيضًا تحذير من اليمين الكاذبة التي فيها أكل لحقوق الناس ، وقد جاء مبينا في رواية أخرى عن أبي أُمامة رضي الله عنه، مرفوعا عند الإمام النسائي في سننه الكبرى، أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (من حلف عند منبري هذا يمينا كاذبة يستحل بها مال امرئ مسلم، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا).

وقوله عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث: (على منبري) يعني منبر النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان في مسجده .

وقوله: (تبوأ) يعني اتخذ مكانا في النار. نسأل الله العافية.

وهذا الحديث يدل على تحريم اليمين الكاذبة وتغليظ أمرها وعظم خطرها، لا سيما إذا أديت في مكان فاضل كعند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو في زمان الفاضل، في رمضان، أو في العشر الأواخر منه، أو في العشر من ذي الحجة.

أيضًا من حلف هذه اليمين العظيمة الكاذبة؛ ليقتطع بها مال امرئ مسلم، فقد ارتكب ذنبا عظيما من أشد الذنوب، وهو سبب في تبوأه مقعدا من النار، ولذلك ينبغي للإنسان أن يحذر كل الحذر هذه اليمين الفاجرة، وأن يحفظ لسانه عن الوقوع فيها.

النبي عليه الصلاة والسلام وردت عنه أحاديث كثيرة في التحذير من شهادة الزور، ومن يمين الزور، ومن اليمين الغموس، وكل هذه دلالة على حفظ حقوق الناس، وتحذيرهم من الظلم أو الكذب والافتراء، نسأل الله العافية والسلامة .

الحديث الخامس :

حديث أبو هريرة رضي الله عنه قال: (ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: رجل على فضل ماء بالفلاة يمنعه من ابن السبيل، ورجلٌ بايع رجلًا بسلعة بعد العصر فحلف له بالله لأخذها بكذا وكذا فصدقه وهو على غير ذلك، ورجل بايع إمامًا لا يبايعه إلا للدنيا، فإن أعطاه منها وفا، وإن لم يعطيه منها لم يفِ).

متفق عليه .

هذا الحديث من الأحاديث التي تبين عِظم هذه اليمين، ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم يبين في هذا الحديث الوعيد الشديد لهؤلاء الثلاثة أنه لا يكلمهم الله عز وجل ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم يوم القيامة، وهؤلاء الثلاثة: الرجل الذي نزل بالفلاة في الصحراء وعنده ماء ومنع منه ابن السبيل، والمنفق سلعته باليمين الكاذبة، والذي يبايع الإمام (ولي الأمر) بيعة ثم ينقض تلك البيعة.

والشاهد من هذا الحديث هو اليمين الكاذبة؛ لما فيها من الغرر والخداع وأكل أموال الناس بالباطل، وهذا الحديث فيه توكيد وإثبات لعذاب الله عز وجل في الآخرة .

الحلقة (٩)

الحديث السادس :

حديث ابن عمر رضي الله عنهما (أن النبي صلى الله عليه وسلم رد اليمين على طالب الحق). رواه الدار قطني وفي إسناده ضعف، كما يقول الحافظ ابن حجر في بلوغ المرام وكذلك في التلخيص الحبير: هذا الحديث ضعيف في إسناده لكن يتقوى بشواهد أخرى، منها حديث القسامة وهو حديث صحيح، فإن البيهقي قال: والاعتماد على هذا في رد اليمين على حديث القسامة، فلذلك يتقوى بهذا .

وهذا الحديث على فرض صحته وتقويه بحديث القسامة يفيد أن النبي صلى الله عليه وسلم رد اليمين على صاحب الحق، ومعناه: أنه إذا أدعى المدعي شيئًا وأنكر المدعى عليه تلك الدعوى، وليس عند المدعي بينة تثبت دعواه؛ فإن له اليمين على المدعى عليه على نفي تلك الدعوى، فإن نكل على اليمين -يعني امتنع عن اليمين- فهل يحكم عليه بالنكول وحده؟ أو يحكم به مع رد اليمين على المدعي فيحلف على صح دعواه ويحكم بما ادعاه ؟

هذه المسألة فيها قولان لأهل العلم :

القول الأول: قول أبي حنيفة وأحمد: أنه يحكم على الناكل بدون رد اليمين على المدعي .

القول الثاني: قول مالك والشافعي: وهو رد اليمين على المدعي فإن حلف قضي له .

والإمام ابن القيم يرجح هذا القول، والصحيح أن النكول يقوم مقام الشاهد والبينة لا مقام الإقرار .

الحديث السابع :

حديث عائشة رضي الله عنها قالت: دخل النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم مسرورًا، تبرق أسارير وجهه، فقال: (ألم تري إلى مجزز المدلجي؟! نظر آنفا إلى زيد بن حارثة وأسامة بن زيد فقال: هذه الأقدام بعضها من بعض). متفق عليه.

هذا الحديث يتعلق بمسألة قضائية ألا وهي مسألة القيافة، وهي إلحاق الولد بأبيه ثبوتًا وعدمًا .

☑ تفسير بعض الكلمات :

قول عائشة رضي الله عنها: دخل النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم مسرورًا، معناها: فرحًا بدت أسارير وجهه من الفرح والسرور.

"تبرق": يعني تلمع وتضيء .

"أسارير وجهه": هي الخطوط التي تكون في الوجه لا سيما في الجبهة .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (ألم تري إلى مجزز المدلجي). مجزز المدلجي هذا صحابي من قبيلة مدلج، كان له معرفة بالقيافة وهي تتبع الآثار، ومعرفة أيضًا بمعرفة الشبه بإلحاق الولد بأبيه، يعرف الرجل أن هذا ابنه أو أن هذا أخ له ونحو ذلك، وهذه القبيلة قبيلة بني مدلج اشتهرت بالقيافة .

والقيافة تنقسم إلى قسمين :

١) قيافة أثر، وهي معرفة الخطوات .

٢) وقيافة بشر، وهي معرفة الأشباه وإلحاق الولد بنسبه .

وقول النبي صلى الله عليه وسلم (إلى زيد بن حارثة وأسامة بن زيد)، زيد بن حارثة الصحابي الجليل الذي نزل فيه قول الله تعالى: {فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا} وهو كان رقيقًا، واستلحقه النبي صلى الله عليه وسلم وأعتقه وتبناه، فكان يسمى زيد بن محمد، وزوجه النبي صلى الله عليه وسلم بمولاته بركة، وأنجبت له أسامة بن زيد ابن حارثة رضي الله عنهم جميعًا، وكان هو حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن حبه، وأسامة كان أسمر، شديد السمرة، وزيد كان أبيض اللون، ولذلك كان العرب يستريبون وكان الناس يتشككون في إلحاق أسامة بأبيه، فلما جاء مجزز المدلجي أثبت قيافة أسامة لأبيه، وأثبت أن هذه الأقدام بعضها من بعض، ودل أن أسامة ابن لزيد بن حارثة، وليس بصحيح ما يقال من التشكك في نسبهما ونحو ذلك.

☑ بعض فوائد هذا الحديث :

أولًا: **فرح النبي صلى الله عليه وسلم بإلحاق نسب أسامة بأبيه**، ودلالة على حب النبي صلى الله عليه وسلم لأسامة وأبيه، وأسامة هو حب رسول الله وابن حبه زيد ابن حارثة رضي الله عنهم جميعًا .

ثانيًا: **هذا الحديث يدل على صحة العمل بقول القافه**، واعتبارهم في صحة النسب، وهذا دليل على ما يسمى بالقرائن، إثبات القرائن للقافة وغيرهم .

ثالثًا: **هذا الحديث يدل على الاكتفاء بشهادة قائف واحد، بشرط أن يكون عدلا مجربا حاذقا عارفا بهذه المهمة** .

رابعًا: فرح النبي صلى الله عليه وسلم يدل على إزالة الشبهة، وقطع دابر ذلك الكلام، واعتبار تأثير الوراثة بين الأصول والفروع ونحو ذلك، وهذا من الأمور المعروفة قديمًا، أما في هذا الزمن فأصبح هناك وسائل يمكن أن تُعرف بها القرائن وهو ما يسمى بالحمض النووي (DNA)، ويُستطاع عن طريقه أن يعرف نسب فلان وصلته بفلان، وحقيقة هو دقيق جدًا في علم التشريح، ويسمى "علم الطب الشرعي" لا سيما عند حدوث جرائم أو نحو ذلك .

هذا فيما يتعلق بحديث عائشة رضي الله عنها، في إثبات القيافة.

كتاب العتق .

- التعريف اللغوي للعتق :

العِتق لغة: بكسر العين من عَتَقَ عِتقًا فهو عَتيق، والعِتق في اللغة هو الخلوص والحرية. أعتقت فلان يعني خلصته. أعتقت كذا يعني خلصته من المكان الذي هو فيه ونحو ذلك .

- التعريف الاصطلاحي للعتق :

هو تحرير الرقبة، وتخليصها من الرق، وإثبات الحرية لها.

والعتق له فضل وأصل في كتاب الله عز وجل وفي سنة رسول صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: {فَكُّ رَقَبَةٍ}يعني إعتاق نفس مسلمة، وعبّر بالرقبة؛ لأنها أهم عضو في جسم الإنسان، وقيل أن الرقبة هي التي لو قطعت لمات الإنسان، فتطلق على الإنسان كاملًا. أيضًا قول الله تعالى: {فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ} دل على فضل عتق الرقبة المؤمنة .

وأما السنة فقد جاءت أحاديث في فضل العتق، منها قول النبي صلى الله عليه وسلم: (من أعتق رقبة مسلمة أعتقه الله بكل عضو منه عضوًا من النار حتى فرجه بفرجه). والحديث في الصحيحين. وهذا الحديث يدل حقيقةً على عناية الإسلام بالعتق، والرد على المشككين الذين يتهمون الإسلام بالحرص على الرق واستعباد العبيد، الإسلام دين الحرية ويحرص على تحرير الأرقاء، ولا أدل على ذلك من أن كثيرًا من الكفارات كلها كفارتها الأولى عتق رقبة، أي ذنب من الذنوب تجد مثلًا كفارة اليمين عتق رقبة، كفارة الظهار، كفارة جماع رمضان، كفارة القتل الخطأ، كلها فيها عتق رقبة، مما يدل على فضل عتق الرقيق، فلذلك يتنبه إلى أهمية ذلك، وينبغي حقيقةً على الجميع أن يحرص على الإحسان للأرقاء، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (إخوانكم خولكم من جعلهم الله تحت أيديكم فلا تكلفوهم من العمل مالا يطيقون). ويقول عليه الصلاة والسلام: (الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم). ويقول عليه الصلاة والسلام: (فأطعموهم مما تطعمون واكسوهم مما تلبسون). وكل هذه الأحاديث تدل على أهمية العتق .

الحديث الأول:

في الباب وهو متعلق بفضل العتق يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (أيما امرئ مسلم أعتق امرأ مسلما، استنقذ الله بكل عضو منه عضوا منه من النار). هذا الحديث في الصحيحين، وقد جاءت له رواية أخرى للترمذي عن أبي أمامه رضي الله عنه قال: (وأيما امرئ مسلم أعتق امرأتين مسلمتين، كانتا فكاكه من النار). هذه رواية الترمذي بسند صحيح. ورواية أبي داوود من حديث كعب بن عجره بن مره أنه قال: (وأيما امرأة مسلمة أعتقت امرأة مسلمة كانت فكاكها من النار) . ومعنى الفكاك يعني الخلاص من النار.

الحديث الثاني :

نه قال: (سألت النبي صلى الله عليه وسلم أي العمل أفضل؟ قال: إيمان بالله، وجهاد في سبيله، قلت فأي الرقاب أفضل؟ قال أغلاها ثمنًا وأنفسها عند أهلها). متفق عليه .

إذًا هذا الحديث والذي قبله يدلان على فضل عتق الرقيق والأجر العظيم الوارد فيه، سواء أعتق هو أو أعتقت المرأة رقيقة، وأيضًا من أعتق امرأتين مسلمتين فله أجر عظيم، وينبغي أن يحرص على أن يعتق رقيقًا ثمينًا، أغلاها وأنفسها عند أهلها؛ ليكون في ذلك أجر عظيم .

والنبي عليه الصلاة والسلام حث على عتق الرقيق؛ من أجل الحرص على تحرير الأرقاء وعدم استعباد الناس، وقد جاء في الحديث وهو الحديث الثالث معنا في كتاب العتق .

الحديث الثالث :

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من أعتق شركا له في عبد فكان له مال يبلغ ثمن العبد قوم قيمة عدل فأعطى شركاءه حصصهم وعتق عليه العبد وإلا فقد عتق منه ما عتق). متفق عليه.

وللشيخين من حديث أبي هريرة (وإلا قوم عليه واستسعي غير مشقوق عليه) .

هذا الحديث يدل على فضل عتق الرقيق، وأنه ينبغي الحرص على عتقه.

☑ تفسير الكلمات الغريبة :

(من أعتق): يعني من خلص.

(شركا): يعني حصة ونصيبًا له في عبد .

(عدل): الشيء يعني مثله .

(وأعطى شركاءه): أي الذين اشتركوا فيه .

(استسعى): معناها: طلب من العبد أن يسعى -يعني يجمع المال- لكي يعتق ويخلص نفسه .

هذا الحديث يدل على تشوف الشرع المطهر إلى العتق، والترغيب فيه، وجعله من أعظم الكفارات، ومن له شراكه ولو في عبد فأعتق جزء فإنه يُعتق بمقدار ذلك الجزء، فإن كان المعتق موسرًا بحيث يستطيع دفع نصيب شريكه عتق العبد كله نصيبه ونصيب شريكه، أيضًا إذا ملك العبد بعض القيمة عتق بقدر القيمة التي ملكها .

وهذا الحديث يدل على جواز الاشتراك في العبد أو الأمة، فحينئذ ينبغي على الشركاء أن يحرصوا كل الحرص على حسن التعامل مع الأرقاء وإعتاقهم، ومن طلب مالًا فليسروا عليه ليسمح له بالاستسعاء بالمال بحيث يجمع من المال حتى يعتق.

الحديث الرابع :

يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (من ملك ذا رحم محرم فهو حر) رواه الخمسة. ويقول: الحافظ ابن حجر رجح جمع من الحفاظ أنه موقوف، فهذا الحديث مختلَف في رفعه وفي وقفه، فرجح جمع من الحفاظ أنه موقوف، وأخرجه أبو داوود مرفوعًا، والحديث له شاهد عن ابن عمر رضي الله عنهما بسند صحيح رواه ابن ماجة .

☑ شرح الكلمات الغريبة :

(من ملك ذا رحم) يعني ذا قرابة.

(محرم) يعني أنه لا يحل نكاحه، فيعد من المحرمات عليه من الأقارب في النكاح.

(فهو حر) يعني أنه صار حرًا لله عز وجل .

وهذا الحديث نستفيد منه فوائد عديدة : منها أن الشرع الحكيم جعل للعتق أسبابًا، منها أن القريب إذا ملك قريبه فإنه يعتق عليه، وجمهور العلماء -كما يقول ابن رشد- أنه يعتق عليه بالقرابة، فحينئذ يكون عتيقًا حرًا بمجرد القرابة، وينبغي أيضًا أن نعرف أن هذا من صلة الرحم ومن الإحسان إلى الأرقاء .

الحديث الخامس :

حديث جابر رضي الله عنه أن رجلًا من الأنصار أعتق غلامًا له عن دبر، ولم يكن له مال غيره، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال عليه الصلاة والسلام: (من يشتريه مني؟) فاشتراه نعيم بن عبد الله بثمانمائة درهم. وفي لفظ للبخاري (فاحتاج). وفي لفظ للنسائي (وكان عليه دين فباعه بثمانمائة درهم فأعطاه وقال اقض دينك) .

إذًا هذا الحديث يدل على عتق المدبر، والمدبر هو تعليق العتق بموت المعتق، يسمونه "التدبير"، وسمي تدبيرًا؛ لأنه يجعل عتقه دبر وفاته، وهذا الرجل جاء في صحيح مسلم أنه كان من الأنصار، وأنه من بني عذرة، وذكر الذهبي أن اسمه أبو مذكور، والغلام اسمه يعقوب .

(وعلق عتقه عن دبر) يعني جعل عتقه دبر وفاته .

اشتراه نعيم بن عبد الله القرشي العدوي.

☑ بعض فوائد هذا الحديث :

أولًا: أن هذا الرجل الأنصاري علق عتق غلامه بموته ولم يكن له مال، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فعد عليه الصلاة والسلام هذا العتق من التفريط وتضييع النفس، فرده وباع غلامه بثمانمائة درهم وأرسل بها إليه، فإن قيامه بنفسه وأهله أولى من العتق؛ لئلا يكون عالة على الناس .

ثانيًا: هذا الحديث فيه دلالة على صحة التدبير، وهو متفق عليه بين العلماء، والمدبر يعتق من ثلث المال لا من رأس المال، وجواز بيع المدبر مطلقًا للحاجة، كالدين، والنفقة، وأن الأولى لمن ليس عنده سعة في الرزق أن يجعل ذلك لنفسه ولمن يعول فهو أولى من غيرهم، وهذا من التفقه، والذي وسع عليه في رزقه فليستغل حقيقة هذه الفرصة وليستعجل عتق هذا العبد؛ ليكون حرًا في حياته، ويخلصه الله به من النار، والله تعالى يقول: {وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا} .

الحلقة (١٠)

أحكام المكاتب .

المكاتَب هو: باع نفسه على سيده كتابًا، يعني بكتابة اتفاق بينهما على أن يعتقه إذا دفع مبلغًا معينًا إلى أجل معين.

الحديث الأول :

حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (المكاتب عبد ما بقي عليه من مكاتبته درهم) أخرجه أبو داوود بإسناد حسن، وأصله عند أحمد والثلاثة، وصححه الحاكم، وهذا الحديث كما يلاحظ إسناده حسن .

والمكاتب -كما قيل- أنه العبد الرقيق الذي كاتبه سيده على أن يكون عتيقًا أو حرًا، بآجال معلومة، وأقساط معدودة .

الحديث الثاني :

ورد حديث آخر في المكاتب عن أم سلمه رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا كان لإحداكن مكاتب وكان عليه ما يؤدي فلتحتجب منه). رواه أحمد والأربعة، وصححه الترمذي .

وهذا الحديث حقيقة مختلف فيه؛ لأنه يدل على أمر مخالف وهو ما يتعلق بأن المرأة تكشف الحجاب لرقيقها، وهذا حقيقة مخالف للأحاديث الصحيحة، وجرى عمل أمهات المؤمنين رضي الله عنهن على خلاف ذلك وهو الاحتجاب عن أرقائهن ومن كانوا يعملون عندهن من الرجال الأجانب .

☑ شرح الحديثين :

هذان الحديثان يتفقان مع قول الله تعالى: {فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا}، فهذا يدل على أصل الكتابة ومشروعيتها .

والحديث الأول يدل على أن المكاتب لا يعتق من رقه حتى يوفي جميع دين الكتابة عليه، فتجري عليه أحكام الرق ما بقي عليه درهم، مادام كتب عليه في المكاتبة بينه وبين سيده أنه لا يعتق إلا إذا دفع مثلًا ثمانمائة درهم لو يبقى درهم واحد فيبقى عليه حكم الرق، هذا هو منطوق الحديث، وهذا هو رأي جمهور العلماء، إذا هذا الحديث يفهم منه أنه لابد على الرقيق من أن يوفي بجميع شروط الكتابة، وأن يسدد جميع حقوق سيده الذي كاتبه .

الحديث الذي بعده يدل على أن المرأة لا تحتجب من رقيقها حتى يكاتب، فإذا دفع فإنه يجب عليها الاحتجاب، **ولكن الصحيح أن المرأة يجب عليها أن تحتجب من الرجل الأجنبي عنها**، فإن ذلك لا شك هو الأولى و الأحوط، ولزوم الحجاب واجب على الجميع من النساء عند غير محارمهن .

الحديث الثالث :

حديث عمرو بن الحارث أخي جويرية بنت الحارث أم المؤمنين رضي الله عنها قال: (ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته درهمًا ولا دينارًا ولا عبدًا ولا أمةً ولا شيئًا إلا بغلته البيضاء، وسلاحه، وأرضًا جعلها صدقة) رواه البخاري .

إذًا هذا الحديث يدلنا على زهد النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا وتنزهه عن أموالها وما فيها .

عمرو بن الحارث رضي الله عنه يبين أن النبي صلى الله عليه وسلم ما ترك شيئًا من الأموال التي تكون وصايا أو إرثًا يبقى، لا دراهم ولا دنانير ولا عبيد ولا إماء ولا شيئًا إلا بغلته البيضاء فقط هي التي ورثها النبي صلى الله عليه وسلم، وسلاحه، وأرضًا جعلها صدقه، البغلة البيضاء هذه عبارة عن بغلة أهداها المقوقس حاكم مصر إلى النبي صلى الله عليه وسلم، والسلاح هو ما يستعمل في الحرب، والأرض التي جعلها النبي صلى الله عليه وسلم صدقة هي أرض فدك، وهي قرية معروفة بجوار المدينة جعلها النبي صلى الله عليه وسلم صدقة .

☑ فوائد هذا الحديث :

أولًا: **زهد النبي صلى الله عليه وسلم وإعراضه عن الدنيا، وأنه خرج منها -عليه الصلاة والسلام- سالمًا معافى من أموال الناس ومن حقوقهم**، ويعلم أن ما عند الله خير وأبقى، قال تعالى: {قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا} .

ثانيًا: **الحديث بين أن النبي صلى الله عليه وسلم توفي ولم يخلف درهمًا ولا دينارًا؛ وإنما ترك سلاحًا للجهاد، والبغلة**

التي يركب عليها، والأرض التي جعلها صدقة، يقول عليه الصلاة والسلام: (نحن معاشر الأنبياء لا نرث ولا نورث ما تركناه صدقة) متفق عليه. فدل هذا على زهد النبي صلى الله عليه وسلم وترفعه عن أمور الدنيا .

بعد هذا ننتقل إلى الكتاب الجامع وهو أخر كتاب في بلوغ المرام وفي منهج المستوى الثامن، وسماه المؤلف رحمه الله بكتاب جامع؛ لأنه يجمع ستة أبواب من آداب النفس البشرية، وهي: الأدب، والبر والصلة، والزهد والورع، والترهيب من مساوئ الأخلاق، والترغيب في مكارم الأخلاق، والذكر والدعاء .

وهذه الأبواب الستة تدور عليها أحاديث تهذيب النفوس وإقامة السلوك والالتزام بأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم، وأول باب بدأه المؤلف في كتاب الجامع هو :

باب الأدب .

- **الأدب لغة :**

الأدب بفتح الهمزة والدال مصدر أدب الرجل يؤدب تأديبًا، أي صار أديبًا في خلق وفي علم .

- **الأدب اصطلاحا :**

ذكر الحافظ ابن حجر: أنه استعمال ما يحمد قولًا وفعلًا.

أو بمعنى آخر: الأخذ بمكارم الأخلاق والابتعاد عن مساوئها .

والنبي صلى الله عليه وسلم كان أكمل الناس أدبًا وأحسن الناس خلقًا، يقول الله تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ}.

وتقول عائشة رضي الله عنها: "كان خلقه القران".

والأحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم في حسن الخلق والتأدب والآداب الإسلامية كثيرة؛ ولذلك النبي عليه الصلاة والسلام يقول: (إن المؤمن ليبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم) فحري بالإخوة الطلاب وهم على أبواب التخرج أن يحرصوا على الأخلاق الحسنة والآداب الكريمة، ويعاملوا الناس بما يحبوا أن يعاملوهم به ويرفقوا بهم، لاسيما أنهم سيكونون بإذن الله تعالى في مجالات تتعلق بمصالح الناس، كالقضاء، وكتابة العدل، والتدريس، ومختلف الوظائف، فيقوموا بواجبهم نحو هذا البلد الكريم، وبما يحقق مصالح أبنائه في ظل قيادة ولاة أمرنا أعزهم الله بطاعته .

الحديث الأول :

حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (حق المسلم على المسلم ست: إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصحه، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه) .

هذا الحديث يتناول الحقوق الستة التي ينبغي للمسلم أن يحرص على الاتصاف بها، وهذا الحديث يدل دلالة أكيده على حرص الإسلام على تحقيق مبدأ الأخوة الإيمانية بين المؤمنين، وأن الإسلام دين المحبة والإخاء والمودة والوفاء بين أبناء الإسلام، والله تعالى يقول: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}.

- ✓ **حقوق المسلم على أخيه :**

الحق الأول: بدأ النبي صلى الله عليه وسلم بأول حق وهو السلام، والسلام اسم من أسماء الله عز وجل أمرنا به، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا }.

وقال عز وجل: {فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً }.

وقال تعالى: {وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا}.

ولا شك هذه الآيات وغيرها تدل دلالة أكيدة على فضل السلام، وعدم التساهل فيه وعدم رده .

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم).

والسلام: هو عبارة عن قول "السلام عليكم ورحمة الله وبركاته"، **والسلام سنة، ورده واجب** . فينبغي للشخص أن يحرص على أن يسلم، ومن سلم على أخيه فإنه قام بحق من حقوق المسلم، واستجاب لقول الله عز وجل في قوله: {حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا}، ويرزق بثلاثين حسنة، قال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل دخل وقال: السلام عليكم: (عشر) قال: السلام عليكم ورحمة الله قال: (عشرين) قال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فقال عليه الصلاة والسلام: (ثلاثين). يعني ثلاثين حسنة يرزقها الله ذلك الرجل .

إذا هذا هو الأمر الأول وهو السلام، وهو متقرر معروف لكم جميعًا، وينبغي أن يصحب السلام البشاشة، وحسن اللقاء، ولا بأس بالمعانقة لمن كان بعيدًا أو مسافرًا أو كبيرًا في السن، ولا بأس بتقبيل الرأس احترامًا وتقديرًا للوالدين ولكبار السن وللعلماء والمشايخ الذين لهم فضل .

الحق الثاني : **قول النبي صلى الله عليه وسلم**: (وإذا دعاك فأجبه). قال تعالى: {إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا} ومعنى (إذا دعاك فأجبه) : يعني إذا دعاك أخاك المسلم إلى وليمة أو إلى طعام أو إلى حفل زواج أو نحو ذلك فينبغي للمسلم أن يجيب دعوت أخيه، وهذا حق من حقوقه.

قال صلى الله عليه وسلم: (من دعي ولم يجب فقد عصى الله ورسوله). بل جاء في صحيح مسلم (إذا دعي أحدكم إلى وليمة عرس فليجب[1]) وجاء (إذا دعي أحدُكم فليجب، فإن كان صائماً فليصل). يعني يحضر، و"ليصل" يعني ليدعوا لهم في وليمة العرس، وهذا أمر معروف؛ لما فيه من التهنئة وإظهار الفرح والسرور والدعاء وغير ذلك .

الحق الثالث : **النصيحة**، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (وإذا استنصحك فانصحه). والله تعالى يقول: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}. ويقول عز وجل على لسان أحد الأنبياء {وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ} شعيب عليه السلام. بل يقول عليه الصلاة والسلام: (الدين النصيحة). ويقول جابر بن عبد الله: "بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم". فينبغي للمسلمين أن يحرصوا على التناصح فيما بينهم، وأن يكونوا صادقين في نصحهم، ولا يكون هدفهم هو النقد والتجريح؛ إنما يكون هدفهم النصح والإفادة .

الحق الرابع : **إذا عطس فحمد الله عز وجل فليشمته** ، يعني إذا عطس فقال "الحمد لله"، فليقل له أخوه "يرحمك الله"، وليقل "يهديكم الله ويصلح بالكم". **قال النووي: إنه متفق على استحبابه** .

➢ **من الآداب عند العطاس :**

١ / أن يخمر وجهه سواءً بثوبه أو شماغه أو منديل لئلا ينتقل شيء من الرذاذ من هذا العاطس إلى من عنده فتنتقل العدوى أو يتأثرون أو نحو ذلك .

٢ / لا ينبغي الالتفات أثناء العطاس، وإنما عليه أن يجعل وجهه أمامه .

٣ / ينبغي للشخص أن يحرص على تشميت العاطس إذا حمد الله، وإن كرر العطاس فعليه أن يدعو له بالعافية يقول "شفاكم الله"، مما يدل على أنه مريض .

الحق الخامس : **عيادة المريض**، يقول عليه الصلاة والسلام: (وإذا مرض فعده). **وعيادة المريض مستحبة**، وجاءت فيها أحاديث كثيرة، منها قول النبي صلى الله عليه وسلم: (ما من مسلم يعود مسلمًا غدوة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك

[1] قال الشيخ (فليدع) لعله سبق لسان والصواب (فليجب) كما جاء في الدرر السنية .

حتى يمسي، وإن عاده عشية صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح، وكان له خريف في الجنة).

وجاء في حديث آخر (من عاد مسلمًا كان في خرفه في الجنة). قيل يا رسول الله: وما خرفة الجنة ؟؟ (قال جناها). يعني ثمارها التي تجنى منها.

وأحاديث عيادة المريض كثيرة، وينبغي لمن عاد أخًا له أن يحرص على أن يدعو له بخير، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا عاد مريضا يقول له: (اللّهُمَّ رب الناس، أذهب إلباس، اشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاءك، شفاءً لا يغادر سقما). وكان يقول: (أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك) .

وعلى عائد المريض ألا يطيل الزيارة، وعليه أن يسأل عن حاله، وأن يطمئنه، وأن ينفس له في الأجل، وأن يثني عليه بخير ويقول ما شاء الله صحتك اليوم أحسن وجهك أفضل وهكذا؛ لئلا يدخل عليه الحزن والغم أو يخوفه من بعض الأمراض ونحو ذلك .

الحق السادس : (إذا مات فاتبعه). وهذا يتعلق بشهود الجنازة، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (وإذا مات فاتبعه).

وقال عليه الصلاة والسلام: (من شهد الجنازة حتى يصلى عليها له قيراط، ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطان) قيل: وما القيراطان؟ قال: (مثل الجبلين العظيمين). وهذا هو آخر حق للمسلم على أخيه في الدنيا، أن يصلي عليه ويشهد جنازته إلى أن يدفن ويترحم عليه ويدعو له بالمغفرة .

الحديث الثاني :

حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أنظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم؛ فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم). متفق عليه .

☑ معاني الكلمات :

(أجدر) معناها: أحق وأخلق ألا تحتقروا نعمة الله عز وجل .

(تزدروا) يعني تستحقروا وتستخفوا.

وهذا الحديث إرشاد من النبي صلى الله عليه وسلم لأمته في أهمية لزوم القناعة والرضا بما قسمه الله عز وجل له، وأن لا يشغلوا أنفسهم بالنظر والمقارنة مع الآخرين، وإنما ينظروا إلى من هو أدنى منهم ولا ينظروا إلى من هو أعلى منهم، وواجب حقيقة على المسلم أن يشكر نعمة الله عز وجل، وألا يزدري نعمة الله تعالى، بل عليه أن يحرص كل الحرص على شكر نعمة الله عز وجل، وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي هريرة: (ارضَ بما قسم لك تكن أغنى الناس). وعلى المسلم حقيقة أن يشكر الله على نعمة، الصحة، والعافية، والأمن، والطمأنينة، بعض الناس لا يفكر في النعم إلا في النعم المادية، فلان عنده مال، راتبه أحسن مني، سيارته، بيته، لكن هناك نعم أخرى، نعم معنوية، نعم حسية، الصحة، والعافية، والفراغ، والطمأنينة، والأمن، الاطمئنان النفسي، والاستقرار العائلي بينك وبين أولادك وزوجتك، قد يكون هذا عنده مشاكل نفسية وصحية ونحو ذلك .

حلقة (١١)

الحديث الثالث :

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يقيم الرجلُ الرجلَ من مجلسه ثم يجلس فيه، ولكن تفسحوا وتوسعوا). متفق عليه .

☑ معاني الكلمات :

(تفسحوا): معناها يوسع كل منكم للآخر .

(توسعوا): يعني تفسحوا لإخوانكم .

➢ هذا الحديث فيه أدبان عظيمان من آداب المجالس :

أولها: أنه لا يحل للرجل أن يقيم الرجل الآخر من مجلسه الذي سبقه إليه ثم يجلس فيه؛ لأن من سبق إلى مباح فهو أحق به، وقد جاء في الحديث: (من سبق إلى ما لم يسبق إليه فهو له) .

ثانيًا: المتعين على الحضور أن يتفسحوا للقادم حتى يوجدوا له مكانا بينهم، لا يجعلونه واقفًا أو يخرج من مكانه؛ لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ}.

إذًا هذا الحديث يدل على التعاطف والتآلف بين المسلمين، وأيضًا يدل على كراهة أن يقيم الرجل آخاه من مجلسه؛ لأن من سبق إلى مكان فهو أولى به كما تقدم في ذلك، والحديث رواه أبو داود .

الحديث الرابع :

حديث أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ليسلم الصغير على الكبير، والمار على القاعد، والقليل على الكثير). متفق عليه .

وفي رواية لمسلم: (والراكب على الماشي) .

➢ هذا الحديث يتعلق باداب السلام وكيف ترتب، فهذا يفيد الترتيب المندوب في حق البداءة بالسلام .

وجعلها النبي صلى الله عليه وسلم على أربعة أنواع :

أولًا: حق التكرمة، أن الصغير يسلم على الكبير، فعلى الصغير أن يجل الكبير ويبدأ بالسلام عليه .

ثانيًا: المار يسلم على القاعد؛ لأنه بمنزلة القادم عليه .

ثالثًا: القليل يسلم على الكثير؛ لأن الكثير هو صاحب الحق، فالقليل هو الذي يبدأ بالسلام .

رابعًا: الراكب يسلم على الماشي؛ لأن له منزلة الاعتلاء وفضل الركوب، فينبغي أن يبدأ بالسلام؛ أداء لشكر نعمة الله عز وجل في ذلك .

فهذا الحديث يدل على رعاية هذه الآداب الأربعة في طريقة التسليم، ويدل أيضًا على فضل إفشاء السلام بين الناس إذا تلاقوا في الطرقات، وعلى المسلم أن يحرص على أن يكون بادئا بالسلام، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (وخيرهم الذي يبدأ بالسلام) .

الحديث الخامس:

➢ ويلحق بهذا فيما يتعلق بالسلام أحكام خاصة بالسلام على أهل الكتاب ،

فقد جاء عن علي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تبدءوا اليهود ولا النصارى بالسلام، وإذا لقيتموهم في طريق فاضطروهم إلى أضيقه) . أخرجه مسلم.

وهذا الحديث يدل على أن الإسلام يعلو ولا يعلى عليه، كما رواه الدار قطني في سننه ،ويدل على أن اليهود والنصارى لا يُبدؤون بالسلام، وأيضًا يضطرون إلى أضيق الطريق، فلا يُبدءوا بالسلام ولا يوسع لهم؛ إنما يجعلون في طريق ضيق منه.

إذا افترضنا أن اليهودي والنصراني قابلكم وابتدأ هو بالسلام، فيقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم) .

إذًا نفهم من هذا أنه لا يُبتدئ اليهودي والنصراني بالسلام، فإن ابتدءوا هم فيجابون بقول: وعليكم .

الحديث السادس:

عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا انتعل أحدكم فليبدأ باليمين، وإذا نزع فليبدأ بالشمال، ولتكن اليمنى أولهما تنتعل، وآخرهما تنزع). متفق عليه .

➢ هذا الحديث يبين لنا النبي صلى الله عليه وسلم أحكام لبس النعال .

(إذا انتعل) يعني إذا لبس نعله.

وأول أدب هو التزام البدء باليمين، لحديث عائشة رضي الله عنها في الصحيحين: (كان النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه التيمن في تنعله وترجله وطهوره وفي شأنه كله). فكان يبدأ باليمين في كافة أموره ويقدمها في الأشياء الطيبة .

أما الشمال فيجعلها للأشياء غير الطيبة، كعند الدخول للخلاء، وعند الخروج من المسجد، وعند خلع النعلين، ونحو ه .

أيضًا في الطهارة يبدأ دائما بالجانب الأيمن، فالبدء بالأيمن مشروع في جميع الأعمال الصالحة، أما البدء بالشمال فيبدأ عند الخلع للملابس أو للأحذية ونحو ذلك؛ لأن اللباس كرامة، أما خلعه فيكون بالشمال .

هناك أدب آخر أرشدنا له النبي صلى الله عليه وسلم في النعال :

الحديث السابع:

قال عليه الصلاة والسلام: (لا يمشي أحدكم في نعل واحدة، ولِيُنعلهما جميعا، أو ليخلعهما جميعا). متفق عليه .

ومعنى (ينعلهما) أي يلبسهما، يلبس النعلين جميعا .

وهذا الحديث يدل على حرص الإسلام على الكمال والجمال، والعناية بما يسمى المظهر الحضاري في الإسلام، والعناية بالجانب الجمالي للمسلم، فلا ينبغي للمسلم أن يلبس نعلا واحدة يمشي فيها؛ فإن في ذلك مثلة، ويمشي كأنه أعرج، فإما أن يلبس النعلين معا أو يخلعهما معا .

والنبي عليه الصلاة والسلام كان تارة ينتعل ، وتارة يمشي حافيا .

والنهي في هذا الحديث في قوله (لا يمشي) الأصل فيه التحريم، لكن في هذا الحديث يحمل على الكراهة. والدليل على هذا حديث عائشة قالت: (ربما انقطع شسعُ نعل النبي صلى الله عليه وسلم فمشى في النعل الواحدة حتى يصلحها). فما في ذلك بأس ولكنه مكروه، والسبب في هذا أن ذلك يؤدي به إلى المثلة، وقيل إن في ذلك تشبه بمشية الشيطان .

➢ ننتقل بعد هذا إلى حديث آخر يتعلق بآداب اللباس .

الحديث الثامن :

حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا ينظر الله إلى من جر ثوبه خيلاء). متفق عليه .

و(الخيلاء): هو التكبر، والعجب في النفس، والمباهاة والتبختر في اللباس .

وهذا الحديث فيه وعيد شديد لمن جر ثوبه خيلاء بأن الله عز وجل يُعرض عنه ولا ينظر إليه يوم القيامة، وهذا الوعيد -نسأل الله العافية- فيمن أسبل ثيابه خيلاء، وأنها من كبائر الذنوب، **والإسبال محرم ويعد من كبائر الذنوب**؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (ما جاوز الكعبين ففي النار). فالحذر الحذر من جر الملابس والخيلاء فيها والإسبال، فإنها ليست من صفات المؤمنين، بل ينبغي للشخص أن يكون حريصا على الالتزام بهدي النبي صلى الله عليه وسلم، وأن يكون فوق الكعبين .

- ننتقل بعد هذا إلى أدب من آداب الإسلام أرشدنا إليه خير الأنام رسولنا عليه الصلاة والسلام وهو يتعلق **بآداب الأكل والشرب** .

الحديث التاسع :

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه، وإذا شرب فليشرب بيمينه، فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله). رواه مسلم .

هذا الحديث نستفيد منه وجوب الأكل والشرب باليمين، وتحريم الأكل والشرب بالشمال، وأن من فعل ذلك فإنه يعد متشبها بالشيطان، نسأل الله العافية .

الحديث العاشر :

عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل واشرب والبس وتصدق، في غير سرفٍ ولا مخيْلة). أخرجه أبو داود وأحمد وعلقه البخاري، فهو من معلقات البخاري، ولكنه معلق محتج به، فقد عزاه ووصله الحافظ ابن حجر إلى أبو داود الطيالسي، وإلى الحارث ابن أبي أسامة في مسنده .

☑ معاني الكلمات :

(السرف): هو الإسراف والتبذير، ويراد به صرف الشيء في مكان زائدا عن حاجته.

(المخيْلة): هي الخيلاء والتكبر والعجب.

وهذا الحديث نستفيد منه: **أن الله سبحانه وتعالى أباح لعباده الطيبات من الرزق في الدنيا من الأكل والشرب واللباس والصدقة، ولكن ذلك مضبوط بضابطين: ألا يكون فيها سرف، ولا مخيْلة. فإذا كان وصل إلى حد الإسراف والخيلاء فإن هذا محرم.** والله تعالى يقول: {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا}. وهذا حديث جامع لفضائل تدبير الإنسان لنفسه، وفضائل معيشة الإنسان في هذه الدنيا، بأنها تكون من غير كبر ولا خيلاء؛ وإنما بالاقتصاد والتوسط المعلوم .

ننتقل بعد هذا بعون الله وتوفيقه إلى باب البر والصلة وهو الباب الثاني من أبواب الكتاب الجامع .

باب البر والصلة .

الحديث الأول :

حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من أحب أن يبسط له في رزقه، وإن ينسأ له في أثره، فليصل رحمه). أخرجه البخاري .

وهذا الحديث كما هو معلوم في **فضل صلة الرحم** ولذلك ابتدأ به المؤلف؛ لأنهم أحق من وصل بالبر والصلة والإحسان.

☑ الكلمات الغريبة :

(من): من هنا اسم شرط جازم، وفعلها أحب، وجوابه فليصل رحمه .

(أن يبسط له في رزقه): معناها أن يكثّر وأن يبارك له في رزقه .

(ينسأ): النسيئة هنا التأخير.

(أثره): يعني أجله .

(فليصل رحمه): يعني يزور ويصل أقاربه بالزيارة وبالصدقة وبالهدية.

والرحم: هم أقارب الشخص، كل رحم للشخص هم أقاربه من جهة أبيه وأمه .

هذا الحديث -كما قلت- يتعلق بفضل صلة الرحم التي أمرنا الله بها، وأنها معلقة بالعرش، من وصلها وصله الله، ومن قطعها قطعه الله، يقول الله تعالى: {وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ}.

والنبي عليه الصلاة والسلام يقول: (الرحم معلقة بالعرش، تقول من وصلني وصله الله). فاحرص أخي المبارك على صلة رحمك، فإن صلة الرحم سبب في كسب الرزق، وفي طول العمر، وينبغي للإنسان أن يعلم أن هذا من توفيق الله عز وجل .

➢ **وأشكل على بعض أهل العلم هذا الحديث، كيف يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (ينسأ له في أثره) يعني يؤخر، والله تعالى يقول:{ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ} ؟!**

جمع بينهما العلماء من وجوه :

قيل: **الزيادة هنا في الحديث المقصود بها زيادة معنوية وهي البركة في العمر**، فيوفق إلى طاعة الله، ويشغل وقته بطاعات لا يعملها من عمر لسنوات؛ كما قال تعالى: {لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ}. هذا من بركة العمل الصالح أن ليلة واحدة تعادل عبادة ثلاثة وثمانين سنة .

وقيل: **أنها زيادة حقيقية**، والله تعالى يقول: {يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ}. والله خالق الخلق وقادر على كل شيء جل وعلا .

أيضًا من الأمور المهمة في هذا الحث على صلة الرحم، والمبادرة إلى الزيارة، وإدخال السرور على الأقارب والسؤال عنهم، وينبغي أن يحرص المسلم على أن يقصد بصلة رحمه وجه الله عز وجل .

ننتقل بعد هذا إلى حديث آخر متعلق بهذا، -وكما قيل- بضدها تتبين الأشياء .

الحديث الثاني :

عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يدخل الجنة قاطع). يعني قاطع رحم. متفق عليه .

هذا الحديث واضح أنه في التحذير من قطيعة الرحم، والتحذير الشديد بحرمانه من دخول الجنة، قال الله تعالى:

{وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ}، ويقول جل وعلا: {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ (٢٣)}.

ويقول عليه الصلاة والسلام: (قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك وأن أقطع من قطعك؟ قالت بلى. قال: فذلك لك) .

إذا من قطع الرحم فيخشى عليه من الإثم العظيم والذنب الكبير الذي توعد به النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: (لا يدخل الجنة). ومعنى لا يدخل الجنة -والله أعلم- ليس معناها تحريما أبديا؛ إنما هو تحريم أمدي، يعني يؤخر دخوله الجنة ويعاقب على قدر كبيرته وذنبه بقطيعة الرحم .

وقيل: لا يدخلها مبكرا مع الأوائل بل يؤخر ويدخل غيره قبله .

الحديث الثالث :

حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله حرّم عليكم عقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنعا وهات، وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال). متفق عليه .

☑ الكلمات الغريبة :

(عقوق الأمهات): يعني قطيعة الأمهات وعصيانهم -نسأل الله العافية-، وعبّر بالأمهات هنا؛ لعظم حق الأم.

(وأد البنات): معناها دفن البنت وهي حية، وهذه عادة من عادات الجاهلية كانوا يفعلونها مخافة العار أو خشية الفقر.

(ومنعًا وهات): أي منع ما يجب أداءه ، و(هات): يعني أخذ ما لا يستحقه الشخص من أمور المال وأكلها بغير حق .

(وقيل وقال): يعني كناية عن كثرة الكلام.

(وكثرة السؤال): يعني السؤال عن المسائل التي لم تقع، كما نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الأغلوطات، وهي: صعاب المسائل ومشكلها. أو كثرة السؤال: يعني التسول، سؤال الناس أموالهم .

(وإضاعة المال): يعني صرفه في غير وجه .

☑ الأحكام والآداب الشرعية في الحديث :

أولًا: تحريم عقوق الأمهات، والله تعالى يقول: {أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ} ، {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا}، والنبي عليه الصلاة والسلام سئل: (أي الناس أحق بحسن صحابتي؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال أمك. قال: ثم من؟ قال أمك. قال: ثم من؟ قال: أبوك) .

ثانيًا: تحريم وأد البنات، قال تعالى: {وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ} .

ثالثًا: تحريم المن والبخل، وتحريم كثرة الكلام أو السؤال عما لا فائدة منه، قال عليه الصلاة والسلام: (أعظم الناس جرما من سئل عن شيء لم يحرم فحرم من أجل مسألته). وينبغي علينا أن نحرص على اتباع ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم، والانتهاء عما زجر عنه النبي صلى الله عليه وسلم .

الحلقة (١٢)

الحديث الرابع:

حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (رضا الله في رضا الوالدين، وسخط الله في سخط الوالدين). أخرجه الترمذي، وصححه ابن الحبان والحاكم .

وهذا الحديث واضح من تخريج الحافظ ابن الحجر له في البلوغ أنه حديث صحيح، وقد صححه ابن الحبان والحاكم، وأيضًا صححه السيوطي في الجامع الصغير.

وهذا الحديث يتناول أن رضا الله عز وجل في رضا الوالدين، **والرضا بالشيء هو القناعة به والاختيار له**، والسخط لا شك أيضًا أنه عكس الرضا، وهذا الحديث يتناول جانبا مهما ألا وهو أهمية رضا الوالدين، فحق الوالدين كبير، وأجرهما عظيم، وبرهما ينبغي للإنسان أن يعتني به أتم الاعتناء، قال الله تعالى: {أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ}.

والله تعالى يقول: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا}.

وهذا الحديث يبين أن الله تعالى رضاه في رضا الوالدين، وسخطه في سخط الوالدين، فمن أرضاهما فقد أرضا الله ومن أسخطهما فقد اسخط الله -نسأل الله العافية-، فيجب على المسلم أن يحرص على رضا والديه، وأن يحذر من سخط والديه؛ ليكون عبدا مطيعا لله عز وجل .

مسألة:

لو أمرك والداك بأمر فيه معصية لله عز وجل فيقال لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فينبغي أن يحرص الابن على طاعتهما إلا ما كان فيه معصية، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

الحديث الخامس:

عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لجاره ما يحب لنفسه). متفق عليه .

وهذا الحديث يدل على أهمية حق الجار، وحق الجار عظيم يقول عليه الصلاة والسلام: (مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه). ويقول عليه الصلاة والسلام: (من كان يؤمن بالله وباليوم الأخر فليحسن إلى جاره).

ولذلك يقول عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث: (والذي نفسي بيده)، أقسم بالله عز وجل الذي أنفسنا بيده جل وعلا ثم قال: (لا يؤمن أحدكم) **والمراد بنفي الإيمان هنا نفي كمال الإيمان الواجب، وليس المقصود نفي الإيمان كليةً**، وإنما نفي كماله؛ لأن من لم يقم بحق الجار لا نقل عنه إنه خرج من الإيمان، إنما نفي كمال .

وينبغي للإنسان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، لا سيما لإخوانه وجيرانه، أن يحرص على التعرف عليهم، وعلى مودتهم، وزيارتهم، وصلتهم، وبدئه بالسلام، وزيارته إذا مرض، وتعزيته عند المصيبة، وتهنئته في الأيام السارة، والسؤال عنه إذا غاب، ومساعدته إذا كان محتاجا، وهكذا. كل هذه الحقوق لاشك أنه ينبغي على كل مسلم أن يراعيها مع جيرانه، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول لأبي ذر: (يا أبا ذر إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك). وهذا يدل على أهمية الهدايا بين الجيران وخاصة في الأكل والشرب، والناس تتشوق نفوسهم لمثل هذا، وهذا ما يزيد الألفة والمودة بين الجيران .

الحديث السادس:

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الذنب أعظم ؟؟ قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك، قلت: ثم أي ؟ قال: أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك، قلت: يا رسول الله ثم أي ؟ قال: أن تزاني حليلة جارك). متفق عليه .

هذا الحديث يسأل فيه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم عن أعظم الذنوب، فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم أن أعظم الذنوب (أن تجعل لله ندا)، والند في اللغة: هو الشبيه والمثيل، والكفار -نسأل الله العافية- كانوا يجعلون أصنامهم أندادا لله عز وجل، وآخر ذنب ذكره من الذنوب العظام قال: (أن تزاني حليلة جارك)، ومعناها: أن ترتكب جريمة الزنا مع زوجة جارك، وهذه خيانة عظمى للجار الذي ينبغي للإنسان أن يحسن إليه .

➢ وهذا الحديث نأخذ منه أنه يتناول ثلاث مسائل ، وهي كلها من الذنوب العظام والكبائر والموبقات .

أولًا: أن تجعل لله ندا، وهو الشرك العظيم، قال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ} .

ثانيًا: أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك، فقتل النفس حرام، ومن الذنوب العظام، والله تعالى يقول:{وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا}، ويزداد الإثم جرما إذا علمت أن هذا المقتول هو ابنك وأقدمت على قتل ابنك، والله تعالى يقول: {وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا}

ثالثًا: أن تزاني حليلة جارك، وهو أن ترتكب الزنا مع زوجة جارك -نسأل الله العافية-، والله تعالى يقول: {وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا}. ولو تأملنا في هذه الآية، الأمر "ولا تقربوا" ما قال "ما تفعلوا" !! حتى قرب الزنا، يعني كل ما يقرب من الزنا من النظر المحرم، من الاتصال، أو نحو ذلك، كل هذه تقرب من الزنا فعليك أن تبتعد عنها.

الحديث السابع:

حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من الكبائر شتم الرجل والديه ، قيل: وهل يسب الرجل والديه؟ قال :نعم ، يسب أبا الرجل فيسب الرجل أباه ، ويسب أمه فيسب أمه). متفق عليه.

هذا الحديث يتناول أمرا عظيما، ألا وهو السب والشتم الذي يقع من بعض الناس على الوالدين، وكما نعلم أن حق الوالدين عظيم، وبرهما واجب، فلا يجوز شتمهما، ولذا استغرب الصحابة لما قال النبي عليه الصلاة والسلام (شتم الرجل والديه)، فقالوا هل يسب الرجل والديه؟ فأخبر النبي أنه لا يسبهما صراحة، ولكن يسب أبا الرجل فهذا الرجل يسب أباه فيكون هو الذي تسبب عليه بمثل ذلك، **والعلماء يقولون الوسائل لها أحكام المقاصد** .

☑ فوائد هذا الحديث:

أولًا: أنه ينبغي على المسلم أن يكف لسانه عن شتم الناس، وعن شتم أبائهم، وعليه أن يهجر القول المحرم .

ثانيًا: هذا الحديث فيه أصل عظيم في سد الذرائع، فينبغي للمسلم ألا يكون سببا في سب والديه، فما أدى إلى الحرام فهو حرام، والله تعالى يقول: {وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ}. فحينئذ أنت تسب الكفار، فيسبوا الله ويسبوا الدين، فتكون أنت المتسبب في ذلك، وهذا الأمر معروف للجميع .

الحديث الثامن والتاسع:

حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل معروف صدقة). أخرجه البخاري .

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلق أخاك بوجه طلق). أخرجه مسلم .

هاذان الحديثان يتناولان فضل الصدقة وأهمية المعروف وأن أبواب الخير كثيرة، فينبغي للمسلم أن يفعل كل خير، وأن يبادر إلى التصدق على إخوانه، وهذا من تنويع البر، فيقول: (كل معروف صدقة). يعني كل عمل تقوم به من أعمال الخير فهو صدقة، {وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ}.

أيضًا عد النبي صلى الله عليه وسلم أنواع الصدقة فقال" (كل تسبيحه صدقة، كل تحميده صدقة، وكل تهليله صدقة، وكل تكبيره صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة). ثم قال النبي عليه الصلاة والسلام: (والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة). فهذا يدل على أن كل معروف يعمله الإنسان فإن له به صدقة، فينبغي عليه أن يحرص على أن يكثر من الصدقات، نسأل الله أن يوفقنا لفعل الخير.

الحديث العاشر :

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(من دل على خير فله مثل أجر فاعله)أخرجه مسلم.

هذا الحديث يدل على فضل القدوة الحسنة والدلالة على الخير، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيء). والحديث رواه مسلم. وهذا معناه: من أحيا سنة ونشر سنة، ليس معناه من أحدث سنة، لا، لا أحد يسن في الدين شيئا جديدا؛ إنما يحي أمرا معمولا به معروفا .

وهذا الحديث حديث ابن مسعود (من دل على خير فله مثل أجر فاعله) يدل على أن من دل على خير سواء من خيري الدنيا أو الآخرة فإن له من الأجر مثل أجر من فعله من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ولذلك ينبغي للإنسان أن يحرص على نفع إخوانه، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (لأن يهدي الله بك رجلًا واحدا خير لك من حمر النعم)، وعلى الإنسان أن يكون حريصا على الأجر؛ ليكون له مثل أجر فاعله (من دل على هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه).

انتهينا بحمد الله وتوفيقه من باب البر والصلة، وننتقل بعونه إلى باب الزهد والورع في الكتاب الجامع من بلوغ المرام .

باب الزهد والورع.

الحديث الأول :

حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: -وأهوى النعمان بأصبعيه إلى أذنيه، يعني إشارة إلى هنا، وهذه الفائدة منها أن يسند الكلام إلى شيء محسوس؛ ليؤكد لك أنني سمعته بأذني هاتين- يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الحلال بين، وإن الحرام بين، وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب). متفق عليه.

هذا حديث النعمان بن بشير من الأحاديث الجوامع التي تدل على فضل اتقاء الشبهات، والحذر من الوقوع في الأمور المشتبهة، والأمور المشتبهة هي ما تنازعته الأدلة بين الحلال والحرام.

☑ شرح بعض الكلمات الغريبة :

(المشتبهات): بضم الميم هي غير الواضحات، غير البينات، وهي: ما تتنازعه الأدلة، وتتجاذبه المعاني، ويشكل على الإنسان هل هو حلال أو حرام. فالأورع والأزكى والأحوط تركه .

(استبرأ): من البراءة، معناها: احتاط وصان نفسه وعرضه عن ذم الناس، والعرض هنا المقصود به: موضع الذم والمدح من الإنسان .

(الشبهات): جمع شبه، وهي الأمر الملتبس.

(الحمى): بكسر الحاء وفتح الميم موضع حضر الإمام على الناس، معناه: كأنه حمى، مكانا للرعي أو غيره، لا أحد يدخله لكي تخرج الأشجار وترعى فيها البهائم فيما بعد، فيأتي الإمام أو ولي الأمر أو المسئول فيحمي مكانا، يجعل عليه سياج بحيث لا تدخله الأغنام ولا غيرها من أجل أن يثمر ويخضر، فهذا هو الحمى.

(يوشك): يقرب ويسرع .

(محارمه): المعاصي التي حرمها الله عز وجل، كجريمة القتل والزنا والسرقة ونحو ذلك .

(ألا وإن حمى الله محارمه) هذه القصد منها التنبيه لما بعدها .

(مضغة): المضغة هي القطعة من اللحم بقدر ما يمضغ الإنسان، ولا شك أن هذه القطعة المذكورة في الحديث المراد بها القلب .

☑ فوائد هذا الحديث –وهو يعد من الأحاديث الجوامع– :

أولًا: أن الحلال بين واضح، وأن الحرام بين أيضًا واضح تحريمه، وبينهما قسم ثالث هو المشتبهات، والمراد بها: ما لم يترجح أهو حلال أو حرام، وكان السلف رحمهم الله يتوقون بعض المشتبهات تورعا، مخافة الوقوع في المحرمات، فعلى الإنسان أن يتورع، ويحرص على البعد عما فيه شبهه، وأن يحرص على الأمور النقية، وكل ما يشكل عليك .

مثلا في بعض المساهمات يسمى مشتبهة، فأتركها ابتغاء وجه الله تعالى .

ثانيًا: ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أن في الجسد مضغة –يعني لحمة صغيرة– مثل ما يمضغ من اللحم، وأنها هي المتصرفة في الجسد ألا وهي القلب –نسأل الله أن يصلح قلوبنا–، فإذا صلح القلب صلح سائر جسده .

وهذا الحديث أيها الإخوة كما قلت مليء بالفوائد والحكم والدلالات، فينبغي للإنسان أن يعتني به، وأن يحرص على شرحه، ومن أجمع الشروح التي شرحته كتاب جامع العلوم والحكم للإمام الحافظ ابن رجب رحمه الله .

الحديث الثاني :

حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة، إن أعطي رضي وإن لم يعط لم يرض). رواه البخاري .

هذا الحديث يقول النبي صلى الله عليه وسلم فيه: (تعس) معناها خاب وخسر .

(وعبد الدينار): كناية على أنه صار عبدا للمال وعبدا للدرهم، من كثرة تعلقه به صار كالأسير لا يستطيع الخلاص منه، ولذلك هذا الحديث يدل على أن المؤمن ينبغي أن يخلص قلبه لله عز وجل ولا يتعلق بشيء من أمور الدنيا .

الحلقة (١٣)

الحديث الثالث:

حديث عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من تشبه بقوم فهو منهم). أخرجه أبو داود، وصححه ابن حبان .

وهذا الحديث معروف ومشهور من جوامع كلام النبي صلى الله عليه وسلم، فبهذه العبارات القليلات حوى النبي صلى الله عليه وسلم كلاما كثيرا ذا معاني عظيمات ومفردات وألفاظ كثيرات.

الحديث صححه ابن حبان، وحكم عليه الحافظ ابن حجر في فتح الباري بأن إسناده حسن، وشيخ الإسلام يقول: سنده جيد. والسيوطي أيضًا في الجامع الصغير يقول: إسناده حسن .

وهذا الحديث يدل على أن من تشبه بقوم فهو منهم، فمن تشبه بالكفار في أمورهم التي تخصهم فهو يكون مثلهم، وهذا يدل على أن الوسائل لها أحكام ومقاصد، وأن من تشبه بالفساق أو الكفار أو المبتدعة فيما اختصوا به في لباسهم وكان على طريقتهم فقد سلك مسلكهم .

ومن أجمع من ألف في هذا الباب في ضوابط التشبه بالكفار وأحكامه من ناحية العقدية شيخ الإسلام ابن تيمية، كتاب "اقتضاء الصراط المستقيم"، فهو بتحقيق هذه القضية في مخالفة أصحاب الجحيم، وذكر فيه فصلا في الأدلة من الكتاب والسنة والإجماع على الأمر بمخالفة الكفار والنهي عن التشبه بهم .

ولذلك نلاحظ في بعض الأحاديث يقول النبي عليه الصلاة والسلام: (غيروا هذا الشيء)، (لا تشبهوا باليهود).

يقول النبي عليه الصلاة والسلام: (جذوا الشوارب وأرخوا اللحى، خالفوا المجوس) .

ففي أحاديث كثيرة يقول: (خالفوا المشركين) (خالفوا اليهود) (خالفوا النصارى)، وهذا لا شك أنه من باب تميز هذه الأمة وألا تكون مقلدة متشبهة بغيرها .

الحديث الرابع:

حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوما فقال: (يا غلام احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فأسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله). رواه الترمذي وقال حسن صحيح .

وهذا الحديث إسناده حسن كما رجح ذلك الحافظ ابن رجب في شرح الأربعين في جامع العلوم والحكم .

النبي عليه الصلاة والسلام بهذه العبارات الجامعات يخاطب غلاما من غلمان الصحابة ولكنه من نجبائهم، وهو ابن عباس حبر هذه الأمة رضي الله عنه، يقول له: (احفظ الله يحفظك) ، احفظ الله يعني اذكر الله، واحفظ أوامره، واحفظها بالامتثال، ونواهيه بالاجتناب،

(تِجاهك) أو تُجاهك أو تَجاهك، بالألفاظ المثلثة، بمعنى: تجده أمامك فيحفظك من شرور الدارين .

فينبغي للمسلم أن يحرص على أن يحفظ الله عز وجل في أوامره فيتبعها، وفي نواهيه فينزجر عنها، وينبغي أن يحفظ حدود الله وحقوقه، كما أنه ينبغي أن يحرص على أن يحفظه الله عز وجل في كافة أموره، وهذه معية من الله عز وجل تقتضي حفظ عباده ونصرتهم وتوفيقهم وتسديدهم .

يقول الإمام النووي: "فيه إشارة إلى أن العبد لا ينبغي له أن يعلق سره بغير الله، بل يتوكل عليه في جميع أموره".

وينبغي للإنسان أن يحرص على أن يكون دعاءه لله عز وجل، يقول النبي عليه الصلاة والسلام: (إذا سألت فاسأل

الله). فالسؤال يكون لله عز وجل، وهو الذي يستجيب الدعاء، {أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ}، ويعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوه بشيء لم ينفعوه إلا بشيء قد كتبه الله له، وهذا الحديث من الأحاديث الجوامع التي ذكرها الحافظ ابن رجب في شرح الأربعين في جامع العلوم والحكم، فأنصح الأخوة الطلاب بالرجوع إليه والاستفادة منه .

الحديث الخامس :

حديث سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي). أخرجه مسلم .

☑ معاني الكلمات :

(التقي): مشتق من تقوى الله عز وجل، وهو الذي يمتثل أوامر الله ويجتنب نواهيه .

(الغني): هو من كثر ماله، فاغتنى عن الناس، وتصدق به في وجوه الخير .

(الخفي): هو من لم يظهر عمله، بل حرص على إسرار العمل، وانقطع للعبادة سراً؛ بعدا عن الرياء، ورغبة في الإخلاص .

☑ يستفاد من هذا الحديث :

أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن الله يحب العبد إذا اتصف بثلاث صفات :

أولًا: التقوى، وهي اجتناب ما نهى الله عنه، وفعل ما أمر به .

ثانيًا: الغنى، وهو غنى النفس .

ثالثًا: الخفي، وهو الذي آثر الخمول وعدم الشهرة، وحرص على الإخلاص .

من جمع هذه الصفات الثلاثة فإن الله يحبه؛ لأن الله يحب المتقين، ومن استغنى بالله عز وجل كفاه الله عن الناس جميعا.

وهذا يدل على فائدة أن الإنسان يكون عبدا تقيا غنيا خفيا، -وكما قلت- خفي: معناه أن يسر العبد بالعبادة بينه وبين الله، وهذه يسميها السلف رحمهم الله "خبيئة العمل الصالح"، جاء في الحديث: (من استطاع منكم أن تكون له خبيئة من عمل صالح فليفعل). وعلى المسلم أن تكون له خبيئة، أي عمل صالح في السر يتعود عليه، وذلك مثل أن يتصدق على فقير لا يراه إلا الله، ولا يعلم بذلك أحد، يذهب إليه في بيته أو مكان خاص ويعطيه، ما يراه أحد؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه). الشمال هذه لا تعلم ما تنفق اليمين ويقول عليه الصلاة والسلام: (ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه). أي: لما أطاع الله في حال خلوته رزقه الله الخشوع والخوف والإنابة والبكاء بين يدي الجبار جل وعلا، ولذا يقول أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه في رجل رآه يتلفف في المسجد ويبكي في دعاءه: "ما أحسن هذا لو كان في بيته". وكلكم تعلمون استحباب أداء النوافل في البيوت؛ من أجل البعد عن الرياء، والحرص على الإخلاص، وقدوة الأهل في البيت ونحو ذلك.

الحديث السادس :

حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه).

رواه الترمذي وقال حديث حسن.

وهذا الحديث وقع فيه اختلاف، منهم من قال أنه من مرسل، ومنهم من قال أنه مرفوع، بل قيل أنه غريب، وهناك كلام عليه كثير. الشاهد والخلاصة منه: أن إسناده حسن، كما حسنه الإمام النووي رحمه الله وغيره من الفقهاء، والإمام الزرقاني يقول في شرح الموطأ أيضًا إسناده حسن .

☑ معاني الكلمات :

(من حُسن): "من" هنا تبعيضية، ويجوز أن تكون بيانية .

(حسن): يعني كمال .

(مالا يعنيه): تقول العرب: عنيت بالحاجة فأنا بها معني، أي: اهتممت بها، واشتغلت بقضائها. فـ"مالا يعنيه" بمعنى: لا يهمه قضاءه، ولا يشتغل بحاجته .

☑ فوائد هذا الحديث :

أولًا: يقول الحافظ رجب رحمه الله: "الذي يعني الناس هو الذي تتعلق به عنايته، ويكون مقصده ومطلوبه، والعناية شديدة لاهتمام الأمر بها، وليس المعنى أن يترك الإنسان مالا عناية به ولا إرادة بحكم الهوس أو النفس ونحو ذلك لا بحكم الشرع، بل ينبغي أن يترك ذلك لله، ويتركه للإسلام؛

من أجل مثلًا نفترض أن فيه شبهة أو مال حرام أو أموال أيتام أو نحو ذلك".

يقول أيضًا أحد المشايخ: "الذي عند الإنسان من الأمور ما يتعلق بضرورة حياته في معاشه ومعيشته وسلامته في معاده".

أيضًا يقول الإمام ابن عبد البر عن هذا الحديث: "إنه من الجوامع للمعاني الكثيرة والألفاظ القليلة". وكانوا يعدون هذا الحديث من أحاديث التي عليها مدار الإسلام .

وضابط مالا يعنيه: يقول الإمام الغزالي: "**حد مالا يعنيك في الكلام أن تتكلم بكل ما لو سكت عنه لم تأثم، فإنك مضيع لزمانك، ومنفق لوقتك فيما لا خير فيه**".

وهذا حقيقة واقع كثير من الناس اليوم مع الأسف، يضيع وقته فيما لا فائدة منه، إما في جدال، أو في الذهاب والإياب، يشغل نفسه بفضول الكلام، إذا رأى حادث توقف، إذا رأى مرور وقف ينظر معهم ويشاهد، ينبغي للإنسان ألا يشغل نفسه بمثل هذا، بل عليه أن يحرص على أن يشغل وقته بطاعة الله عز وجل .

✦ الحديث السابع :

حديث أنس ابن مالك رضي الله عنه قال: (كل بني آدم خطاء، وخير الخطاءين التوابون). أخرجه الترمذي وابن ماجه وسنده قوي. إذا الحافظ يصف هذا الحديث بأن سنده قوي، ويتبين أنه قوي الإسناد .

ويؤخذ من هذا الحديث أنه لا يخلو الإنسان من خطيئة ومن ارتكاب ذنب، ولكن عليه أن يحرص كل الحرص على المبادرة للتوبة، والذنوب من المعلوم أنها تنقسم إلى قسمين: صغائر، وكبائر.

فالصغائر تكفرها الأعمال الصالحة.

والكبائر لا تكفرها إلا التوبة النصوح.

والصغائر لا سبيل لحصرها، وعدها بعض العلماء إلى سبعين، بل وصل إلى ستمائة، هذه الصغائر، وينبغي للمسلم أن يحرص على البعد عنها.

أما الكبائر: فيقول شيخ الإسلام ابن تيمية: **أجمع التعريفات فيها** وليس بمحصورة فيما يتعلق **بالكبيرة**:

أنها ما كان فيه حد في الدنيا، أو وعيد في الآخرة، أو غضب أو لعن أو نفي للإيمان عن الإنسان. هذه كلها تعد من الكبائر.

وينبغي للإنسان أن يحرص كل الحرص على الابتعاد عن الكبائر والتوبة لله عز وجل فيما وقع منه .

أيضًا ينبغي للمسلم أن يعلم أن التوبة تقتضي غفران الذنوب، كما قال ابن تيمية: "إذا تاب العبد توبة عامة فهذه التوبة

تقتضي غفران الذنوب". كما يفعل بعض الناس اليوم وفقهم الله.

أيضًا مما **ينبغي للإنسان أن يكثر من التوبة**، وكان النبي عليه الصلاة والسلام يحسب له في المجلس الواحد سبعين مرة، يقول: (استغفر الله استغفر الله استغفر الله). والله تعالى يقول:{فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا}. والنبي عليه الصلاة والسلام يقول: (من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرج، ومن كل ضيق مخرجا) .

الحديث الثامن :

حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الصمت حكم، وقليل فاعله). أخرجه البيهقي في شعب الإيمان بسند ضعيف، وصحح أنه موقوف من قول لقمان الحكيم .

فهذا الحديث الراجح والله أعلم أنه موقوف، من كلام أنس بن مالك رضي الله عنه، أو لعله سمعه من أحد من غيره كما في أخبار أهل الكتاب وغيرهم .

ويقول الإمام العراقي عن هذا الحديث: إنه قد رواه الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف عن ابن عمر.

والبيهقي يرجح أنه من كلام لقمان عليه السلام، وكلام لقمان هذا عده الإمام البيهقي في شعب الإيمان؛ لأنه صحيح، وكذلك ابن الحبان في كتاب روضة العقلاء.

قول النبي عليه الصلاة والسلام: (الصمت حكم) حكم: جمع حكمة، **والحكمة: هي وضع الشيء في موضعه** .

ويؤخذ في هذا الحديث فضل الصمت وأنه من الحكمة؛ لأن الله تعالى يقول: {مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ}.

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت) .

ويقول عليه الصلاة والسلام: (وهل يكب الناس بالنار على وجوهم إلا حصائد ألسنتهم). (وهل يكب): يعني يلقيهم على وجوههم -نسأل الله العافية- (إلا حصائد ألسنتهم) .

بل جاء عن معاذ رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (من ضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة). وما بين اللحيين هو اللسان، وما بين الرجلين هو الفرج، كناية عن الزنا .

واللسان خطره عظيم، أبوبكر رضي الله عنه كان يشير بيده إلى لسانه ويقول: "هذا الذي أوردني الموارد".

وينبغي للإنسان أن يحرص على لسانه، فلا يتكلم إلا بما كان فيه خير، ويحذر من الخوض في مسائل فيها شيء من التقعر في الكلام، وفيها فحش أو سب أو سخرية، أو استهزاء، وكذلك ما كان فيه إفشاء لسر، أو مراءات، أو مجادلة بالباطل، أو غيبة، أو نميمة، كل هذه لا تجوز .

ومن الأمور التي ينبغي الحرص عليها أن الصمت محمود عن الكلام المحرم، وإذا كان الكلام مباحا والصمت محرما فحينئذ ينبغي تقديم الصمت على الكلام في محرم؛ لأنك تسكت عن أمر محرم وتؤجر على ذلك؛ لأنك سكت ولم تنشر هذه المعلومات بين الناس، فحينئذ يكون عليك وزرها ووزر من عمل بها .

باب الترهيب من مساوئ الأخلاق.

مساوئ الأخلاق، -وكما قيل بضدها تتبين الأشياء- لكي نذكر محاسن الأخلاق يحسن أن نشير إلى مساوئ الأخلاق التي يقع فيها البعض؛ لئلا يشكل عليه .

- **معنى الترهيب :**

والترهيب من رهب رهبا، والرهب: هو الخوف من الشيء مع التحرز.

وينبغي للإنسان أن يحرص على أن يكون هديه واتباعه لهدي النبي صلى الله عليه وسلم بعيدا عن الأمور التي فيها مساوئ للأخلاق.

ونبدأ ببعض **مساوئ الأخلاق** التي حذرنا منها النبي صلى الله عليه وسلم .

الحديث الأول :

يقول الرسول عليه الصلاة والسلام: (إياكم والحسد، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب). أخرجه أبو داود، ورواه ابن ماجه بشاهد آخر عن أنس رضي الله عنه.

وهذا الحديث يذكر بعض العلماء أنه ضعيف؛ بسبب أن فيه جد إبراهيم لا يعرف من هو، فهو مجهول فلا يصح، وينبغي أن نحرص على معرفة الرواة ومنزلتهم وعدالتهم، وعدم التساهل في ذلك .

☑ معاني الكلمات :

(إياكم والحسد) **الحسد: هو تمني زوال النعمة عن الآخر**، تمني زوال النعمة التي بها المسلم الآخر، تزول منه وتنتقل إليك، كأنه يتمنى زوال نعمة الآخرين بأن تسلب منه أو تفقد أو تضيع ونحو ذلك .

والحديث فيه تحذير من الحسد ومجاهدته؛ لأنه إذا نزل الحسد في قلب الإنسان فيتعلق بالدنيا، ويبطل ثواب أعماله الصالحة، وتأكل حسناته كما تأكل النار الحطب .

والحسد المذموم هو تمني زوال نعمة الآخرين، أما الحسد الممدوح فهو الغبطة، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: (لا حسد إلا في اثنتين)، فالغبطة : أنك تتمنى مثل ما لأخيك دون أن ينقص شيء من ماله، وهذا من التنافس في الخير، وأن تتمنى مثل علمه لقوله تعالى: {خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ} .

الحلقة (١٤)

الحديث الثاني :

حديثنا اليوم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب). متفق عليه .

☑ معاني الكلمات الغريبة :

(الشديد): هو القوي

(الصرعة): هو الذي يصارع الناس ويغلبهم، مثل ما نقول الآن في لغة العصر المصارع.

الأحكام والفوائد :

هذا الحديث يدل على أن القوة الحقيقة ليست قوة العضلات، وليست القوة البدنية، إنما القوة الحقيقية هي القوة المعنوية (الذي يملك نفسه عند الغضب) .

والغضب غريزة في الإنسان، ولكن ينبغي للإنسان أن يحاول أن يضبطها وأن يهذبها، وهي -نسأل الله العافية- سبب في كثير من المشكلات، والغضب مجمع كل شر، لقول النبي صلى الله عليه وسلم للرجل الذي جاءه فقال أوصني: (لا تغضب). وهذا يدل على أن الغضب سبب في الوقوع في كثير من الجرائم والحوادث ونحو ذلك .

وعكس الغضب الحلم الذي ينبغي للإنسان يحرص على الاتصاف به؛ لقول الله عز وجل:{وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ

عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}. وقوله تعالى:{وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ}.

والنبي عليه الصلاة والسلام بين لنا فضل كظم الغيظ، فقال عليه الصلاة والسلام:(من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه، دعاه الله على رؤوس الخلائق ويخيره من أي حور شاء). أخرجه أبو داود والترمذي .

هذا الحديث كما هو واضح يدل على خلق كريم ألا وهو الحلم، وعلى ذم خلق سيء وهو الغضب .

الحديث الثالث :

حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الظلم ظلمات يوم القيامة). متفق عليه.

هذا الحديث يدل على تحريم الظلم، والظلم: وضع الشيء في غير محله، وحرمان الآخرين من حقوقهم. ولذلك أخطر الظلم وأعظمه الشرك بالله عز وجل، لقول الله تعالى: {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}.

والنبي عليه الصلاة والسلام حذر من الظلم، قال: (لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تظالموا، وكونوا عباد الله إخوانا).

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإنه أهلك من كان قبلكم). أخرجه مسلم .

و(الشح): هو البخل.

وهذا الحديث فيه تحذير من الظلم، وكذلك التحذير من الشح، فإنه كان سبب هلاك الأمم السابقة نسأل الله العافية.

الحديث الرابع :

حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، الرياء). والحديث أخرجه أحمد بإسناد حسن .

والشرك الأصغر يدل على أن الشرك نوعان :

شرك أكبر: و هو المخرج من الملة .

وشرك أصغر وهو الرياء .

والمقصود بالرياء: أن الإنسان يظهر العبادة بقصد رؤية الناس له فيحمدوه ويثنوا عليه، وينبغي للإنسان أن يحرص على ألا يجاهر بعمله أمام الناس، وأن يبتغي بعمله وجه الله، لقوله تعالى: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ}. فينبغي علينا أن نحرص على الإخلاص، وأن نحذر من الشرك الأصغر وهو الرياء، وكان السلف الصالح رحمهم الله يحرصون على إخفاء العمل، وكانوا يحرصون على ما يسمى بخبيئة العمل الصالح، يذهبون إلى الفقراء في وقت الليل وهم نائمون ويضعون بعض الطعام عند بيوتهم، يقومون بتنظيف مسجد، يكفلون يتيم، يحققون قول النبي صلى الله عليه وسلم: (ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه). وقوله عليه الصلاة والسلام: (ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه). هذه كلها دلائل على أهمية عدم إعلان العمل، وأن الإنسان يسر بعمله .

الحديث الخامس :

حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (آية المنافق ثلاثة: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان). متفق عليه .

ولهما -يعني للشيخين- من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: (وإذا خاصم فجر).

أصبح هناك زيادة رابعة. هذه الأربع صفات هي صفات المنافقين نسأل الله السلامة والعافية .

معاني الكلمات :

(آية): علامة. الآية هنا سميت علامة.**والآية في القرآن** معناها:علامة انقطاع الكلام بعضه عن بعض، أو جملة عن جملة.

(المنافق): هو الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر.

وذكر النبي صلى الله عليه وسلم أن المنافق له ثلاث صفات: (إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان). وزاد أيضًا أنه (إذا خاصم فجر). يخرج عن طور المخاصمة بهدوء إلى الفجور والكلام البذيء ونحو ذلك.

فوائد هذا الحديث :

أولًا: **هذا الحديث يدل على علامات النفاق وهي: الكذب في الحديث، والخيانة في الكلام، وإخلاف الموعد، والفجور عند المخاصمة** بأن يخرج عن الحق عمدا ويقلب الحق باطلا، وهذه كلها من صفات المنافقين التي لا ينبغي علينا الاتصاف بها. وأنا أنصح إخواني الطلاب بالحرص على تجنب هذه الصفات في حياتهم العلمية والعملية، إذا حدثت فاصدق، إياك والكذب، إذا وعدت أوفي بوعدك، مع الأسف الآن نحن كثيراً ما نواعد ونتأخر، نواعد ولا نفي، وهذه مع الأسف واقعة، تعد زميلك بأن تأتي الساعة السابعة فلا تأتي إلا الثامنة أو التاسعة، تعد عامل من العمال تعطيه مائة ريال فتماطل وتؤخر، وهذا ليس من هدي النبي عليه الصلاة والسلام.

ثانيًا: **ينبغي للإنسان إذا ائتمن على شيء ألا يخونه**، كل الأعمال التي تقوم بها إنما هي أمانة، إذا أنت مدرس اؤتمنت على تدريس الطلاب ودرجاتهم أمانة، أنت قاضي اؤتمنت على الأحكام الشرعية أمانة، أنت مسؤول في الإدارة المالية مؤتمن على المال وهكذا. كل هذه تكون من الأمور التي ينبغي الحرص عليها وعدم التساهل بها.

ثالثًا: (إذا خاصم فجر) لا ينبغي عند الخصومة أن الإنسان يتكلم بكلام بذيء ويقلب الحق إلى باطل ونحو ذلك، وعليه أن يكون هادئا، وأن يكظم غيظه، وأن يجادل بالتي هي أحسن.

الحديث السادس :

حديث معقل بن يسار رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرّم الله عليه الجنة). متفق عليه.

معاني الكلمات الغريبة :

(ما): هذه حرف نفي .

(عبد يسترعيه): الرعاية هنا المقصود بها الولاية، شبه براعي الغنم، سواء كانت ولاية عامة "ولي الأمر"، أو ولاية خاصة مثل: مدير المدرسة، عميد الكلية، رئيس القسم، مسؤول الدائرة، وهكذا. كل من كان مديرا أو مسؤولا فهو راعٍ ومسؤول عن رعيته.

"الغش": هو عدم النصح . وكلمته (هو غاش لرعيته) جملة حالية .

فوائد هذا الحديث :

أولًا: أنه يتضمن وعيدًا شديدًا للولاة الذين لا يهتمون بأمور رعيتهم، ولا ينظرون إلى ما فيه مصالحهم، فينبغي إذا كنت مدير مدرسة أن أرعى مصالح طلابي والأساتذة الذين يعملون عندي، إذا كنت رئيس إدارة انتبه للموظفين الذين هم عندي .

وتوعد النبي صلى الله عليه وسلم بالعذاب الشديد هؤلاء بأنه يحرم الله عليهم الجنة، وهذا لا شك أنه ظلم، ووقوع في كبيرة في كبائر الذنوب، فينبغي للمسلم أن يحرص كل الحرص على عدم التساهل في ذلك، والنبي عليه الصلاة والسلام لما ذكر السبعة الذين يظلهم الله في ظله قال: (إمام عادل)، وقال عليه الصلاة والسلام: (أحب الخلق إلى الله إمام عادل، وأبغضهم إمام جائر). رواه الإمام أحمد في مسنده.

وهناك ولايات مثل، الأب مسؤول عن أولاده، الأم مسؤولة عن أولادها، فلان مسؤول عن أوقاف، مسؤول عن وصية، مسؤول عن أيتام، إمام مسجد مسؤول عن المسجد وعن الجماعة وهكذا.

الحديث السابع:

حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اللَّهُمَّ من ولي من أمر أمتي شيئًا فشق عليهم فاشقق عليه). رواه مسلم .

هذا الحديث يتناول الوعيد الشديد على الولاة الذين يشقون على الناس، كل من كان مسؤولا، مديرا، أو رئيسا لدائرة حكومية، فإنه ينبغي عليه ألا يشق على الناس، على الموظفين أو على المراجعين، بل عليه أن يرفق بهم، فإن من شق عليهم شق الله عليه، ومن رفق بهم رفق الله به .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "يجب على الوالي أن يستعمل الأصلح الموجود، ويختار الأمثل".

وينبغي حقيقة -وهذه نصيحة لكم إخواني الطلاب وأنتم في المستوى الثامن مقبلون بتوفيق الله على التخرج وأسأل لكم التوفيق في حياتكم العملية- من كان منكم قاضيا أو كاتب عدل أو أستاذا أو داعية في أي مكان عليه أن يرفق بمن يعملون معه، وعليه أن يحسن إليهم، وتذكروا قول الله تعالى: {كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ}. كنت طالبا، فاليوم صرت أساتذا، الحمد لله على نعمائه، كنت موظفا واليوم أنت مدير فالحمد لله على فضله، ولا ينبغي أن تتسلط على الناس، ولا ينبغي أن تعطل مصالح المراجعين أو تؤخرهم أو تكثر عليهم من الطلبات، ولا ينبغي أيضًا الاحتجاب عنهم ومنع الدخول عليك، كل هذه الأمور ينبغي للإنسان أن يراعيها وأن يحرص عليها.

الحديث الثامن:

من الأمور التي ينبغي للإنسان أن يحرص عليها ما جاء في قول النبي صلى الله عليه وسلم: (أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: ذكرك أخاك بما يكره. قيل أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته). أخرجه مسلم .

الكلمات الغريبة:

هذا الحديث يبدأه النبي صلى الله عليه وسلم بسؤال استفهامي يقول: (أتدرون؟). والاستفهام هنا بمعنى التقرير.

(ما الغيبة؟) الغيبة هي: ذكر الغائب بما يكره.

وقوله (بهته): يعني أنك كذبت عليه ونحو ذلك.

إذا هذا الحديث يدل على تحريم الغيبة، والله تعالى بين حرمتها في كتابه فقال:{.. وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا ..} .

وينبغي للإنسان أن يحرص على أن يحفظ لسانه من الغيبة ومن النميمة ومن الكلام في أعراض الناس، **ولا شك أن الغيبة من كبائر الذنوب** نسأل الله أن يحفظنا وإياكم منها.

- أود أن أشير إلى تنبيه مهم وأن هناك بعض الحالات تجوز فيها الغيبة، الغيبة محرمة ومن كبائر الذنوب، ولكن

هناك ست حالات تجوز فيها الغيبة للمصلحة الشرعية :

أولًا: التظلم، لو أن شخصا ظُلم وذهب للقاضي أو للشرطة وتكلم فيمن ظلمه ما فيه بأس؛ لقوله تعالى:{إِلَّا مَنْ ظُلِمَ}.

ثانيًا: الاستعانة على تغيير المنكر، إذا رأيت منكر، مثل أناس يشربون خمرا، أو يعاكسون فتيات، فأذهب إلى الهيئة وأقول فلان وفلان، لا يوجد مانع من اغتيابهم في مثل هذا.

ثالثًا: الاستفتاء، مثل الزوجة تقول زوجي فعل كذا وكذا، تغتابه، الأب يقول ابني، هذه للفائدة للاستفتاء.

رابعًا: تحذير الناس من الاغترار بالشر، قد ورد في بعض الأخبار "أذكروا الفاسق ليحذره الناس"، وتحذيرهم من ذنب أو من منكر عظيم.

خامسًا: المجاهرة بالفسق والبدعة، فيحذَّر منه.

سادسًا: عند الخطبة للتعريف بالشخص، لو أن شخصا خطب امرأة فأراد أهلها أن يسألوا عنه لا يوجد مانع أن يتكلم في عرضه، ويقال هو متساهل في الصلاة، لا يؤدي حق والديه، لا يوجد مانع في مثل هذا.

الحديث التاسع :

حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى هاهنا -وأشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى صدره ثلاث مرات-، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه، وماله، وعرضه**). أخرجه مسلم .

وهذا الحديث من الأحاديث الجوامع والذي يشتمل على نواهي شرعية كثيرة نهى عنها النبي صلى الله عليه وسلم، فنهى عن الحسد، وهو تمني زوال نعمة الآخرين عنهم.

الكلمات الغريبة :

وقال: (**لا تناجشوا**)، النجش: الزيادة في السلعة بغير قصد شراءها، والقصد من ذلك المضرة بالمشتري أو بالبائع أو التشويش عليهم في السوق ونحو ذلك.

(**ولا تباغضوا**): من البغضاء .

(**ولا تدابروا**): التدابر هو الإعراض والهجر.

(**ولا يبع بعضكم على بيع بعض**): بمعنى: أن يكون قد باع شيء، فيأتي آخر ويبذل للمشتري سلعة ليشتريها ويفسخ البيع الأول. وهذا لا يجوز؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن بيعتين في بيعة .

(**ولا يظلمه**): الظلم هو التعدي على حقوق الآخرين .

(**ولا يخذله**): بمعنى لا يخذل نصرته .

(**ولا يحقره**): يعني لا يستهزئ به ويستذله .

(**التقوى هاهنا**). التقوى: هي فعل الأوامر واجتناب النواهي .

(**بحسب أمر من الشر**): أي يكفيه .

هذا الحديث يحوي جملة من آداب الإسلام الكريمة التي تدل على التراحم والتآلف والتآخي بين المسلمين :

أولها: تحريم الحسد .

وثانيها: تحريم التناجش في البيع، وأنه يسبب البغضاء والمكر والخديعة، والغش بين المتبايعين .

وثالثها: النهي عن التباغض بين المسلمين لأنه يؤدي إلى عدم الألفة بينهم .

ورابعها: النهي عن التدابر وهو التهاجر .

وخامسها: لا يبع بعضكم على بيع بعض، أي لا يجوز له أن يبيع على بيع أخيه.

ثم ختم النبي صلى الله عليه وسلم الحديث بقوله: (وكونوا عباد الله إخوانا)، تحقيقا لقول الباري جل وعلا: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}. فينبغي للإخوة أن يحرصوا على التآلف والتراحم فيما بينهم.

الحلقة (١٥)

الحديث العاشر :

حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تمار أخاك، ولا تمازحه، ولا تعده موعدًا فتخلفه). أخرجه الترمذي بسند ضعيف.

فهذا الحديث إسناده ضعيف كما يقول الإمام الحافظ ابن حجر في البلوغ، ولكن ذكر بعض أهل العلم أن هناك أحاديث وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم تقويه، منها: ما ثبت منها في الصحيحين أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: (أبغض الرجال إلى الله الألد الأخصم). وجاء في الطبراني أن جماعة من الصحابة قالوا خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتمارى فذكر حديثًا طويلًا وقال: قال الله تعالى: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} .

☑ الكلمات الغريبة :

في قوله صلى الله عليه وسلم: (لا تمار) المماراة هي المجادلة بغير حق .

(ولا تمازحه): الممازحة هي المداعبة لأجل المباسطة .

☑ نأخذ من هذا الحديث عدة توجيهات :

أولًا: أن الإسلام يحث على الألفة والمحبة واجتماع القلوب، ويحذر مما يسبب الضغينة والحقد بين المسلمين، وأولها المماراة: وهي المجادلة والمخاصمة بالباطل؛ من أجل أن يظهر صحة كلامه، أو أن يخطئ كلام غيره ونحو ذلك .

ثانيًا: نهى النبي عليه الصلاة والسلام عن المزاح الشديد، والمزاح الذي يكون في الباطل، فلا ينبغي المزاح الذي فيه غضب وعداوة واعتداء، ومثل ما يسمى الآن عند الناس "المزح الثقيل"، إنما يكون المزح بأسلوب مناسب، لطيف، باحترام وأدب، كما كان النبي عليه الصلاة والسلام يمازح بعض الصحابة. تقول عائشة رضي الله عنها: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمازحنا ونمازحه، ويداعبنا ونداعبه، فإذا أذن للصلاة قام كأنه لا يعرفه أحد) .

ثالثًا: نهى النبي عليه الصلاة والسلام أن يعد المسلم أخاه بموعدة ولا يفيها له، فإن ذلك ليس من صفات المسلم، وقد جاء من صفات المنافق أنه إذا وعد أخلف، فينبغي للمسلم أن يحرص على الوفاء بالوعد، وإياك إياك أخي المسلم أن تكون من الذين لا يوفون بعهدهم .

الحديث الحادي عشر :

حديث أبي صرمة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من ضارَّ مسلمًا ضارّه الله، ومن شاق مسلمًا شق الله عليه). أخرجه أبو داوود والترمذي وحسنه، فهذا الحديث إسناده حسن .

☑ الكلمات الغريبة :

(من ضار): يعني من أدخل الضرر على مسلم في نفسه أو بدنه أو بيته أو سيارته .

(ومن شاق): من شق على مسلم ولم يرفق به .

وهذا الحديث يدل على تحريم أذية المسلمين، وإنه لا يجوز للمسلم أن يؤذي أخاه، سواءً كان جارًا له، أو زميلًا في العمل، أو زميلًا في الدراسة، ومع الأسف بعض الناس يضر إخوانه، يتكلم في أعراضهم، يبلغ عنهم، يسيء إليهم في بيوتهم، في سياراتهم، كل هذه لا تجوز، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول:(لا ضرر ولا ضرار).

◆ الحديث الثاني عشر :

حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا). رواه البخاري في صحيحه .

(أفضوا): معناها: وصلوا وبلغوا إلى ما قدموا من أعمالهم. والميت بين يدي الله عز وجل.

☑ الفوائد من هذا الحديث :

تحريم سب الأموات؛ لأن الرسول هنا بدأ الحديث بلا الناهية (لا تسبوا)

وحكمة النهي قال النبي صلى الله عليه وسلم: (فإنهم أفضوا إلى ما قدموا) أي وصلوا إلى ما عملوا من الأعمال سواء كانت أعمالًا صالحة أو سيئة، وسب الميت أيضًا لا فائدة منه؛ لأنه قد مات، فلا ينفع حقيقةً الكلام في عرضه، وليس من المناسب سبه؛ لأن ذلك يؤذي إخوانه وجيرانه وورثته وأولاده، ويتحسرون على أن ميتهم يتكلم في عرضه، وقد جاء في الحديث: (لا تسبوا الأموات فإن سب الميت يؤذي الحي). ولا ينبغي للمسلم أن يقع في عرض أخيه .

أيضًا جاء في بعض الأحاديث نهي المسلم أن يذكر الميت بسوء، بل قال النبي عليه الصلاة والسلام: (أذكروا محاسن موتاكم). فينبغي أن نذكر محاسنهم، وأن نستر عليهم، فقد أفضوا إلى ما قدموا، وقدموا على رب كريم، نسأل الله أن يرحم الجميع وأن يغفر لهم .

◆ الحديث الثالث عشر :

يقول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث حذيفة رضي الله عنه: (لا يدخل الجنة قتّات).

و(القتّات) في هذا الحديث هو النمام الذي ينقل الكلام من شخص إلى أخر عن طريق الوشاية ليفسد بينهما، وشبه بالقتّات بمعنى الذي يقتات، كأنه مثل البهائم التي تأكل .

وهذا الحديث يدل على تحرم النميمة، وهي من كبائر الذنوب؛ لأنها نقل للكلام من شخص إلى شخص آخر بقصد الإفساد بينهما، فينبغي للمسلم أن يحرص على أن يحفظ لسانه من الكلام في أعراض الناس ونحوهم .

◆ الحديث الرابع عشر :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من تسمّع حديث قوم وهم له كارهون، صب في أذنيه الآنك يوم القيامة) .

(الآنك) في هذا الحديث هو الرصاص، وجاء في بعض الأخبار أنه الرصاص المذاب .

والإنسان لو وُضع في أذنه ماء خفيف جدًا لتعب وصار يبحث عن أعواد أو علاج لينظف أذنه، فما بالك لو وضع فيها رصاص خالص مذاب .

هذا يدل على تحريم الاستماع إلى كلام الآخرين إذا كانوا لا يرضون بالتجسس عليهم، والله تعالى يقول: {وَلَا تَجَسَّسُوا}. فلا يجوز لأحد أن يتجسس على أحد .

كذلك لا يجوز النظر إلى بيوت الناس أو إلى عوراتهم بغير إذنهم، لقول نبي الله صلى الله عليه وسلم: (لو أن امرئً اطلع عليك بغير إذن فحذفته بحصاة ففقأت عينه لم يكن عليك جناح). وفي رواية: (فلا فدية لك ولا قصاص). والحديث في البخاري .

إذًا ينبغي للإنسان أن يحذر من النظر إلى الآخرين، ويقاس على النظر للآخرين في هذا الزمن ما يسمى بكاميرا الجوال، بعض الناس يصور الفتيات في الأسواق بدون علمهم، يصور الأولاد في المدارس، يصور الرجال في المناسبات بدون علمهم، لا يجوز، هذه حقوق وأعراف بالناس، لابد أن يستأذن الإنسان، بل بعض الناس يصور هذه الصور ثم ينشرها على الإنترنت، ويكون سببًا في أن تشيع الفاحشة في الذين أمنوا، ويتحمل وزرها ووزر من نظر إليها إلى يوم القيامة، فالحذر الحذر أخي الكريم أن تكون ممن يرتكب هذه المحرمات.

الحديث الخامس عشر :

حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس). أخرجه البزار بإسناد حسن .

☑ الكلمات الغريبة :

(طُوبى): بضم الطاء، قيل: إنها اسم شجرة في الجنة ، وقيل: هي كناية عن العيش الرغيد في الدنيا والحياة الطيبة .

وهذا الحديث توجيه من النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن الإنسان عليه أن يشتغل بعيوبه، ولا يشتغل بعيوب الآخرين ولا يتكلم في أعراضهم، فإن من شُغل بعيوبه عن عيوب الناس فهو له خير بحياة طيبة في الدنيا، وبشجرة في الآخرة .

الحديث السادس عشر :

حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من تعاظم في نفسه، واختال في مشيته، لقي الله وهو عليه غضبان). أخرجه الحاكم ورجاله ثقات، وهذا الحديث يقول العراقي أن إسناده حسن .

ومعنى قول النبي عليه الصلاة والسلام (من تعاظم) يعني تكبر، و(اختال): أيضًا تكبر وأعجب بنفسه، (في مشيته) أي في نوع مشيه، و(لقي الله وهو عليه غضبان) هذا فيه إثبات صفة الغضب لله عز وجل، وأن الله ينتقم منه يوم القيامة .

☑ الفوائد من هذا الحديث :

أولًا: تحريم وذم الكبر والتعاظم والترفع والخيلاء على الناس.

ثانيًا: أن الله عز وجل يغضب عليه، والجزاء من جنس العمل، فإن الله عز وجل يجازيه على ذلك بما يستحقه، فينبغي للعبد المسلم أن يحرص على أن يكون متبعًا لهدي الإسلام في الهدوء والطمأنينة والبعد عن الكبر والخيلاء، يقول عليه الصلاة والسلام: (البذاذة من الإيمان) يعني عدم الترفع، وعدم لبس الملابس الفاخرة ونحو ذلك .

الحديث السابع عشر :

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من عيّر أخاه بذنب لم يمت حتى يعمله). أخرجه الترمذي وحسنه. قال الحافظ ابن حجر: وإسناده منقطع. ولكن ذكر السيوطي أن إسناده حسن.

هذا الحديث فيه النهي عن الشماتة بالآخرين والحذر من تعييرهم بالذنوب، ومعنى التعيير هنا: الاستهزاء والسخرية بالآخرين بسبب ذنب من الذنوب .

فنستفيد من هذا الحديث التحذير من عيب الإنسان أخاه المبتلى بذنب من الذنوب، وأن من عاب أخاه بذنب من الذنوب وشمّت به فإنه سيعود عليه هذا العمل ويعمل مثلما عمل أخاه.

وهذا الحديث يؤكد ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في التحذير من الشماتة للآخرين، روي في الحديث: (**لا تظهر الشماتة بأخيك، فيرحمه الله ويبتليك**). رواه الترمذي. والشماتة ليست من خلق الإسلام، بل الستر والنصيحة والدعاء للآخرين هو المطلوب منا جميعًا، فعلى كل من حصل منه شيء من ذلك أن يحرص على عدم الوقوع في تلك المحرمات .

الحديث الثامن عشر :

حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم، ويل له، ويل له**). أخرجه الثلاثة وإسناده قوي، وهذا الحديث حسنه الإمام المناوي في شرح الجامع الصغير .

وقول النبي صلى الله عليه وسلم (**ويل**) قيل: هو وادي في جهنم لو وضعت فيه الجبال لسالت -نسأل الله العافية- .

وقيل: هو الويل والهلاك والعذاب الشديد لمن يحدث الناس فيكذب .

وهذا نهي عن الحديث بالكذب، بعض الناس يختلق قصصًا، يختلق للناس روايات وأخبار حصلت وهي لم تحصل، يقول حصل لي كذا وكذا، هذا تسميه العرب قديما حديث خرافة، يخرف ويأتي بأساطير، وأنا فعلت كذا حينما سافرت، وذهبت إلى كذا هذا لا يجوز، والله تعالى يقول: {مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ}. فالحذر الحذر من الكذب أو الحرص على إضحاك الناس فهذا كله لا يجوز .

الحديث التاسع عشر :

حديث أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**كفارة من اغتبته أن تستغفر له**). رواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده بإسناد ضعيف. وهذا الحديث ذكر المناوي في الجامع الصغير أنه قد أخرجه من أبي الدنيا عن أنس، ورمز السيوطي له بالصحة، وهذا الحديث أيضًا ضعفه البيهقي والعراقي، ولكن له شواهد كما قال السخاوي .

يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (**كفارة من اغتبته**) الغيبة: هي ذكرك أخاك بما يكره، وهي من المحرمات، ومن وقع فيها وأراد أن يستغفر ويتوب، عليه أن يستغفر الله عز وجل لهذا الرجل الذي قد اغتابه، ويسأل الله الكريم أن يحفظ لسانه من الوقوع في الغيبة، ويدعو له بالمغفرة، وأن يستغفر له دون أن يستحل منه؛ لقول الإمام الحسن البصري: "يكفيه الاستغفار دون الاستحلال".

ويقول مجاهد: "كفارة أكلك لحم أخيك أن تثني عليه وأن تدعو له بخير".

ويقول الغزالي في الإحياء :"اعلم أن الواجب على المغتاب أن يندم وأن يتوب ويتأسف على ما فعل؛ ليخرج من حق الله تعالى، ثم يستحل المغتاب؛ ليحلله فيخرج من مظلمته".

إذا فرضنا أنه اغتاب رجلًا وطلب منه أن يحلله فلم يرضَ الرجل، فحينئذ عليه أن يستغفر له وأن يتوب من هذا العمل.

أيضًا لو أنك تعرف أن فلانًا من الناس إذا قلت له إني قد اغتبتك سيغضب ويقول من الذي أذن لكم بكذا.

هذه كلها أمور ينبغي للإنسان أن يحذرها وأن يتجنبها .

باب الترغيب في مكارم الأخلاق .

• معنى الترغيب :

الترغيب هو الحرص، والحث على الشيء .

ومكارم الأخلاق: يعني مجامع الأخلاق الحسنة .

الحديث الأول :

حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا). متفق عليه .

قول النبي عليه الصلاة والسلام (عليكم بالصدق) معناها الزموا الصدق، والصدق: هو الإخبار بما وافق الواقع .

(والبر): اسم جامع لأعمال الخير .

(وصديقا): صيغة مبالغة، معناها: المبالغة في الصدق؛ من أجل التعظيم والتفخيم .

(الفجور): هي المعاصي والذنوب.

يستفاد من هذا الحديث فضل الصدق والحث عليه، وتحريم الكذب، وقد سبق الكلام كثيرًا في ذلك، مما يدل على أهمية الصدق والحذر من الكذب.

الحديث الثاني :

حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إياكم والجلوس على الطرقات! قالوا: يا رسول الله، ما لنا بد من مجالسنا نتحدث فيها، قال: فأما إذا أبيتم، فأعطوا الطريق حقه. قالوا: وما حقه؟ قال: غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر). متفق عليه .

☑ معاني الكلمات :

(إياكم): بمعنى احذروا .

(الجلوس): الجلوس هنا منصوبة؛ لأنها معطوفة على "إياكم"، مفعول لفعل محذوف تقديره احذروا.

(الطرقات): هي جمع طريق .

(ما لنا بد): معناها: لا محيد لنا عنها، ولا نستغني عنها .

(إن أبيتم): بمعنى: إن امتنعتم فعليكم أن تؤدوا حق الطريق .

ثم ذكر النبي عليه الصلاة والسلام حق الطريق **وهو خمس**، قال: (غض البصر):أي حفظ البصر، وعدم النظر للمحرمات.

الحلقة (١٦)

☑ **الأحكام والفوائد والآداب المستنبطة من هذا الحديث :**

من أول هذه الأحكام: **النهي عن الجلوس في الطرقات وممرات الناس**؛ لما في ذلك من تتبع أحوالهم، والنظر إلى النساء، وتضييق الطريق على الذين يسيرون فيها.

وأود أن أوضح نقطة، الصحابة لما قالوا للنبي عليه الصلاة والسلام "مالنا من مجالسنا بد" كان ذاك الوقت بيوتهم صغيرة وضيقة فما فيها مكان للجلوس، الآن ولله الحمد أصبح في مجالس، واستراحات، وحدائق يمكن أن تجلس فيها، الأوائل كما هو معروف عند بعض أجدادنا كانت بيوتهم قليلة وصغيرة فلا يستطيعون أن يستضيفوا أحدًا يجلس عندهم كثيرًا خاصة إذا كثر العدد فيضطرون أن يجلسوا بجوار المسجد أو على جادة الطريق، ومن هنا قال الرسول عليه الصلاة والسلام لهم: (**إياكم والجلوس على الطرقات**) فراجعوا الرسول عليه الصلاة والسلام قالوا: "مالنا من مجالسنا بد"، قال: (**فأما إذا أبيتم فأعطوا الطريق حقه**). فإذا لم يكن بد من الجلوس في الطريق فعلى الجالس أن يعطي الطريق حقه، و هذه الحقوق:

أولاً: غض البصر

غض البصر في عدم النظر للنساء الذاهبات الآيبات، وعدم الإطلاع على بيوت الناس ومعرفة ماذا لديهم، من دخل عندهم، ماذا اشتروا، ماذا عملوا، هكذا.

ثانيًا: كف الأذى:

مع الأسف الآن بعض الناس يجلسون على الطرقات معهم طعام فيتركون بقايا الطعام، معهم مشروبات أو قارورة ماء يرمونها، ديننا دين النظافة، إن الله نظيف يحب النظافة، وإماطة الأذى عن الطريق صدقة، والنبي عليه الصلاة والسلام حث في أحاديث كثيرة على هذا، فينبغي الحرص على أن نتخلق بأخلاق الإسلام، وننظف شوارعنا وأفنيتنا وحدائقنا وجميع المنتزهات، أما ما يفعله البعض اليوم هداه الله ليس هذا من هدي النبي عليه الصلاة والسلام ترك بقايا الطعام، ترك أمور كثيرة من أدوات الرحلة، من أدوات الجلوس، لاينبغي ، أو بعض الناس تجد أنه يقف على الطرق من أجل إصلاح سيارته ويضع بعض الحصا أو الكفر القديم ويذهب ويتركها، ليس هذا من شكر نعمة الله عز وجل أن يسر لك هذا المكان، وليس هذا من احترام الآخرين، فينبغي لك أن تبعد هذه الأشياء، وأن تعطي الطريق حقه وألا تؤذي الناس .

ثالثًا: من حقوق الطريق رد السلام، ما دمت جالسًا على الطريق فلترد السلام؛ لأنه يسلم المار على القاعد، فمن سلم عليك تقول وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

رابعًا: الحق الرابع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لو رأيت شخص مثلًا متساهل بأمر أو عليه ملاحظة أو وقع في منكر فإنك تنبهه، ويكون هذا بالحسنى والنصيحة المناسبة .

هناك بعض الحقوق التي أرشد إليها النبي صلى الله عليه وسلم غير الحقوق الخمسة في هذا الحديث،وهي: إرشاد ابن السبيل، لو شخص مسافر فأرشده وأدله على الطريق،وإعانة الملهوف،وإعانة المظلوم،وإعانة الرجل على حمل دابته،ونحو ذلك.

وأيضًا من الأمور المهمة الآن وهي مراعاة حقوق الطريق بالنسبة لعدم السرعة، بعض الناس الآن يسرع كثيرًا وتجد الناس تجلس هنا وهنا إما يزعجهم وإما يغبِّر عليهم وإما يتسبب في وقوع حادث لمن أراد أن يقطع من المارة، فالحذر الحذر من السرعة ونحو ذلك .

الحديث الثالث :

حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدًا بعفوٍ إلا عزًا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه). أخرجه مسلم .

☑ هذا الحديث يتناول ثلاث جمل من الأحكام والآداب المهمة :

أولًا: (ما نقصت صدقة من مال) وهذا يدل على أن الصدقة تنمي المال وتباركه وتدفع عنه الآفات، وأن الثواب الحاصل من الصدقة فيه خيرٌ كثير لمن وفقه الله عز وجل أن يكون مخلصًا فيها، والله عز وجل يعوضه خيرًا {وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ} ، {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً}.

ثانيًا: يقول النبي عليه الصلاة والسلام: (وما زاد الله عبد بعفوٍ إلا عزًا) فيه الحث عن العفو عن المسيء وعدم مجازاته، والله تعالى أثنى على العافين عن الناس، فينبغي للإنسان أن يعفو قدر المستطاع، فالله تعالى يقول: {فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ}.

ثالثًا: يقول عليه الصلاة والسلام: (وما تواضع أحد لله تعالى إلا رفعه) هذا فيه دليل على فضل التواضع وإظهار التذلل لله عز وجل، وينبغي للمسلم أن يكون متواضعًا، يقول عليه الصلاة والسلام: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كِبْر).

الحديث الرابع :

حديث عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام). أخرجه الترمذي وصححه .

هذا الحديث يذكر فيه عبد الله بن سلام رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أول ما قدم المدينة يوم الهجرة سمعه عبد الله بن سلام يتكلم أمام الناس بكلام بين فصل يؤثر في القلوب، يقول عليه الصلاة والسلام: (يا أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام).

☑ ما تضمنه هذا الحديث :

أولًا: الحث على إفشاء السلام، أن نقول لكل من عرفنا ومن لم نعرف السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، والسلام سنة، ورده واجب .

ثانيًا: صلة الأرحام، ومعلوم فضل صلة الرحم، وهم: القرابة للشخص من صلة أبيه وأمه. والله تعالى يقول: {وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ}.

ثالثًا: إطعام الطعام من النفقات الواجبة و المستحبة وإطعام الفقراء، والله عز وجل يقول:{وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا}.

رابعًا: يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (وصلوا بالليل والناس نيام). وهذا يدل على فضل قيام الليل، والله وصف الصالحين من عباده بقوله: {كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ}.

وقال تعالى: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ}.

وسئل عليه الصلاة والسلام عن أفضل الصلاة فقال: (أفضل الصلاة بعد الفريضة قيام الليل) .

ويقول عليه الصلاة والسلام: (عليكم بقيام الليل، فإنه دأب الصالحين قبلكم).

فعليك أيها الموفق أن تحرص على قيام الليل ولو بركعة أو بثلاث، وبإذن الله إذا صليت اليوم ركعة صليت غدًا ثلاثًا

وخمسًا وهكذا.

الحديث الخامس:

حديث تميم الداري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم). أخرجه مسلم .

وهذا الحديث يدل على أهمية النصيحة بين الناس وهي إرادة الخير للمنصوح، وتكرار النبي صلى الله عليه وسلم للنصيحة ثلاث مرات دليل على توكيدها وأهميتها .

☑ ما يؤخذ من الحديث من الأحكام:

أولًا: النصيحة لله، وذلك بصحة الاعتقاد، والإقرار بوحدانية الله وبربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، قال تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}.

ثانيًا: النصيحة لكتاب الله، وهي الإيمان به، والتصديق بأنه كلام الله عز وجل تكلم به حقيقة كلامًا يليق بجلاله، وأنه وحي أنزله الله تعالى على رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم .

ثالثًا: النصيحة للنبي صلى الله عليه وسلم بالإيمان والتصديق برسالته، وأنه خاتم المرسلين،والعمل بسنته عليه الصلاة والسلام.

رابعًا: النصيحة لأئمة المسلمين، وهي معاهدتهم على السمع والطاعة، والوفاء لهم، واجتناب ما فيه خروج عليهم أو تشويش لهم، وعلى الإنسان أن يحرص على الوفاء لأئمة المسلمين وطاعتهم ومحبتهم ويدعو الله لهم ويرجو لهم من الخير، فقد روي عن الإمام أحمد أنه كان يقول: "لو كان لي دعوة مستجابة لجعلتها للإمام ولولي الأمر". والمقصود به السلطان.

فالنصيحة كلمة جامعه ينبغي أن يحرص عليها كلٌ منا، نسأل الله أن يوفق الجميع لما في الخير.

الحديث السادس:

حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أكثر ما يدخل الجنة: تقوى الله: وحسن الخلق). أخرجه الترمذي وصححه الحاكم .

والحديث له شواهد كثيرة تدل على فضل حسن الخلق، منها: ما في الصحيحين قول النبي صلى الله عليه وسلم: (خياركم أحسنكم أخلاقًا).

الحديث السابع:

حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنكم لا تسعون الناس بأموالكم، ولكن ليسعهم منكم بسط الوجه، وحسن الخلق). أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، وصححه الحاكم، والحديث إسناده حسن، حسنه العلائي والسيوطي في الجامع الصغير .

يقول النبي عليه الصلاة والسلام: (بسط الوجه) بمعنى البشاشة، وطلاقة الوجه، ولين الجانب، وحسن الخلق، ومعاملة الناس معاملة طيبه بما تحب أن يعاملوك به .

➢ وهذا الحديثين يدل على أمرين عظيمين:

الحديث الأول: يدل على تقوى الله عز وجل، وحسن الخلق، وهذا ينبغي أن نحرص عليه .

والحديث الثاني: يدل على أننا لا نسع الناس في أموالنا، ولكن نسعهم بأخلاقنا وبسماحة وجوهنا، وهذا لا يتم إلا إذا

أعطينا الناس حقوقهم، وأكرمناهم بالمال وبالصدقة، وأنجزنا لهم معاملاتهم وقضينا لهم حاجاتهم، وينبغي أيضًا أن نحرص كل الحرص على عدم التساهل في حقوق الناس وعدم تأخيرها، وينبغي أيضًا استقبال الناس بوجه طلق، يقول جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه: "ما رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وتبسم". وهذا يدل على حسن خلق النبي عليه الصلاة والسلام، ولزومه للابتسام مع جميع أصحابه، و استمراره عليها، وليس في وقت دون وقت، بعض الناس تجده بسّامًا بشوشًا في وقت العمل مثلًا، لكن إذا جاء إلى بيته عاد عبوسًا، بعض الناس العكس تجده في بيته منشرحًا وإذا ذهب للعمل صار عبوسًا، لا، بل ينبغي للإنسان أن يكون بسّامًا مع الجميع .

باب الذكر.

ذكر الله عز وجل معروف منزلته ولاشك أن له أثر في هدوء القلب وطمأنينته، قال الله تعالى: {أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}. ويقول عز وجل:{ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ} .

وذكر الله عز وجل ثلاثة أنواع: ذكر ثناء، وذكر دعاء، وذكر رعاية. والأذكار النبوية تجمع هذه بالثناء على الله عز وجل، والدعاء له جل وعلا، ورعايته، وذكره، وسؤاله الإعانة على شكره .

الحديث الأول:

حديث قدسي في فضل الذكر يرويه لنا أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: يقول الله تعالى: (أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه). وهذا الحديث صححه ابن حبان، وذكره البخاري تعليقًا في صحيحه .

وهذا الحديث له معنى أو شاهد آخر في معناه، ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أنا عند ظنِ عبدي بي، أنا معه إذا تذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خيرٍ منه). وهذا الحديث كما قلت يدل على فضيلة حسن الخلق ومن ذكر الله عز وجل ذكره جل وعلا في ملأ خير منه وهم الملائكة .

الحديث الثاني:

حديث أبي هريرة رضي الله عنه: (ما قعد قوم مقعدًا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة). أخرجه الترمذي، وقال حديث حسن .

وهذا الحديث صححه الحاكم ووافقه الذهبي، ولكن رأي المحققين، كالذهبي، والحافظ ابن حجر، أنه حديث حسن.

كلمة "حسرة" معناها أن الله عز وجل يحسره، وهو شدة التلهف والتأسف والحزن على ما فرط منه، فإن الإنسان في الدنيا كان عنده فرصة أن يذكر الله، لكنه سوَّف ونحو ذلك .

وهذا الحديث والأحاديث التي قبله تدل على فضيلة ذكر الله عز وجل، وأن الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، وأن الله قريب من العبد إذا ذكره جل وعلا، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول لعبد الله بن بسر: (لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله).

وأفضل الذكر ما نطق به اللسان واستحضره الجنان أي القلب، فيكون ذاكرًا بلسانه وبقلبه، ولا ينبغي للإنسان أن يشتت ذهنه أو ينشغل، بل عليه إذا ذكر الله عز وجل أن يكون مستحضرًا لذكره جل وعلا .

أيضًا هذا الحديث يدل على فضل ذكر الله، والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم، فعلينا أن نذكر الله ونصلي

على النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن نقوم، و بها أختم هذا المجلس فأقول: اللّهُمَّ صلي وسلم على محمد وعلى اله وأصحابه أجمعين.

الحلقة (١٧)

الحديث الثالث :

حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من قال سبحان الله وبحمده مئة مرة حطت عنه خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر). متفق عليه .

☑ الكلمات الغريبة :

(حطت): معناها محيت ذنوبه وغفرت خطيئاته .

(زبد البحر): هو الرغوة التي تكون فوق البحر، تلاحظ عندما تقف على شاطئ البحر هناك رغوة بيضاء تجدها فوق، هذه تسمى زبد البحر، وهي كناية عن الكثرة .

☑ الفوائد من هذا الحديث :

أولها: فضل الذكر المشتمل على تسبيح الله تعالى وتنزيهه عما لا يليق به من النقائص والعيوب، فينبغي للإنسان أن يحرص دائمًا على أن يقول سبحان الله وبحمده مئة مرة؛ لتغفر له ذنوبه (ولو كانت مثل زبد البحر)؛ لأن زبد البحر كثير ومع ذلك فضل الله جزيل وفير.

ثانيًا: ينبغي للإنسان أن يحرص على أن يسبح الله عز وجل في كل وقت، صباحًا وعشية، {وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ}.

➢ وقول النبي صلى الله عليه وسلم: (حطت عنه خطاياه) هل يشمل الذنوب الصغائر والكبائر، أم الصغائر فقط؟ المسألة خلافية، والراجح والله أعلم أنه تغفر له الصغائر، أما الكبائر فلابد لها من توبة .

وهذا الحديث وغيره يؤكد لنا ويذكرنا بفضيلة ذكر الله جل وعلا، وأهمية أن يشغل المسلم لسانه بذكر الله، ونحن حقيقة تمر بنا أوقات كثيرة نشعر فيها بفراغ، فما أجمل أن نشغل هذا الفراغ وساعات الانتظار بكثرة الاستغفار، والإكثار من الأذكار للعلي الغفار، إذا جلست عند إشارة المرور، إذا جلست تنتظر الدخول على الطبيب، إذا وقفت في أي مكان تنتظر دورك أن يصل إليك، فاشغل لسانك بذكر الله، سبحان الله وبحمد، سبحانه الله العظيم، استغفر الله، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحي ويميت وهو على كل شيء قدير، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم وهكذا.

➢ ذكر الله عز وجل له فوائد كثيرة، ذكرها ابن القيم في الوابل الصيب، أوصلها إلى قرابة مئة فائدة :

منها: أنه يطرد الشيطان، وأنه يرضي الرحمن، وإنه يزيل الهم عن القلوب، وأنه يجلب للقلب الفرح والسرور، وأنه ينوِّر القلب والوجه، ويجلب الرزق، ويورث المحبة بين الناس، ويُفتح له أبوابا في المعرفة، ويذكره الله عز وجل، يقول الله عز وجل: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ }. ويحط عنه الخطايا والسيئات، ويكفّر عنه الذنوب والخطيئات، ويشتغل اللسان عن الغيبة والنميمة ونحو ذلك .

وأيضًا ذِكر الله غراس الجنة، يقول النبي عليه الصلاة والسلام: (إن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وإنها قيعان، وإن غراسها سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر).

ويقول عليه الصلاة والسلام: (من قال سبحان الله وبحمده مئة مرة غرست له مئة نخلة في الجنة).

ومن قال: (سبحان الله وبحمده مرة غرست له نخلة) .

وهذا يدل حقيقة على فضل ذكر الله عز وجل، وأن المسلم ينبغي أن يداوم عليه، والنبي عليه الصلاة والسلام قال: (ما جلس قوم في مجلس يذكرون الله إلا ذكرهم الله فيمن عنده، وحفتهم الملائكة، وغشتهم الرحمة).

أيضًا من فوائد ذكر الله عز وجل أن النبي عليه الصلاة والسلام دعا الله عز وجل لمن يذكرون الله فقال: (سبق المفردون).

والله تعالى يقول: {وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا}.

والنبي كان يسأل الله أن يعينه على ذكره: (اللَّهُمَّ إني أسألك الإعانة، اللَّهُمَّ أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك). فينبغي علينا معشر الأخوة الطلاب أن نكثر من ذكر الله عز وجل.

ومن الأذكار أيضًا الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم: ما جاء في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الباقيات الصالحات: لا إله إلا الله، وسبحان الله، والله أكبر، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله). أخرجه النسائي، وصححه ابن حبان والحاكم .

فهذا الحديث يدل على فضيلة هذه الكلمات الأربع وهي سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله، والله أكبر.

وصفها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: (الباقيات الصالحات) معناها: هي الأعمال الصالحات التي لصاحبها أجرها ويبقى له ثوابها إلى الأبد.

وقوله: (لا حول ولا قوة إلا بالله): الحول: هو الحركة والحيلة، والقوة: هي الاستطاعة، فلا حيلة ولا قوة للعبد إلا بمشيئة الله عز وجل في دفع الخير، وبعده وصرفه عن الشر .

وهذه الكلمات تسمى الكلمات الأربع، ويقول النبي عليه الصلاة والسلام:(أحب الكلام إلى الله أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر).

ويقول عليه الصلاة والسلام: (هن من القرآن). ويقول في حديث الباب: (هن الباقيات الصالحات).

فعلينا أن نحرص على الإتيان بها، من قال: (سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، غفرت له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر). كما أخذنا منذ قليل.

بل إن النبي صلى الله عليه وسلم كان في سفر ومعه عصا طويلة، فمر عليه الصلاة والسلام بشجرة فضربها، يعني خبطها، فتحات ورقها على الأرض، فقال بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم: (من قال سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، تحاتت خطاياه كما يتحات ورقة الشجر) .

الحديث الرابع:

عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أحب الكلام إلى الله أربع، لا يضرك بأيهن بدأت: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر).

وقوله عليه الصلاة والسلام: (لا يضرك بأيهن بدأت): بمعنى لو بدأت بالحمد لله، أو بلا إله إلا الله، فهذا يدل على جواز البداءة بأي جملة منها؛ لأنها ليست بينها معنى أو مترابط في التقديم والتأخير.

الحديث الخامس:

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا عبد الله بن قيس، ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟ لا حول ولا قوة إلا بالله). متفق عليه.

وفي رواية: (لا ملجأ من الله إلا إليه). وهذه الزيادة عند الإمام النسائي في سننه.

☑ الفوائد من هذا الحديث :

أولًا: قول النبي عليه الصلاة والسلام: (كنز من كنوز الجنة) بمعنى: إذا كنز الناس المال فاكنز أنت صالح الأعمال، وقوله: (لا ملجأ) أي: لا معتصم ولا مكان للجوء.

ووصف النبي صلى الله عليه وسلم هذه الكلمات بالكلمات الأربع، وقد جاء أيضًا بأنها الباقيات الصالحات، قد جاء في مسند أحمد: (استكثروا من الباقيات الصالحات. قيل: وما هن يا رسول الله؟ قال: التكبير، والتهليل، والتحميد، والتسبيح، ولا حول ولا قوة إلا بالله).

ثانيًا: ينبغي للمسلم أن يحرص على ذكر الله عز وجل، وأن يستشعر المعاني العظيمة في سبحان الله تنزيه لله عز وجل وتقديس عن العيوب والنقائص، والحمد لله إثبات الحمد له سبحانه والشكر على نعمائه، ولا إله إلا الله هي كلمة التوحيد التي هي مفتاح الإسلام وبابه، والله أكبر هي إثبات كبرياء وصفة الجلال والعظمة لله جل وعلا.

وكما قلت أن الرسول قال: (لا يضرك بأيهن بدأت)، فهذا دليل على جواز البدء بأي جملة من هذه الجمل بالنظر إلى معانيها، فلعله يقدم التسبيح مثلا، أو التحميد، ونحو ذلك، وقد ورد في أكثر الأحاديث: (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر).

ثالثًا: قول النبي عليه الصلاة والسلام: (لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة) معناها: أن العبد يتبرأ من كل حول ومن كل قوة ومن كل استطاعة، فالله سبحانه هو صاحب الحول والقوة والمشيئة، وهذه تثبت أن قدرة الله سبحانه وتعالى فوق كل قدرة، ولا يستطيع أن ينفعك وأن يدفع عنك إلا الله سبحانه وتعالى، **وهذا يدل على أن العبد له إرادة وقدرة، ولكن إرادة الله ومشيئته فوق كل إرادة، والعبد إرادته ومشيئة لا تخرج عن إرادة الله سبحانه ومشيئته**، فالله يطلب من عبده العمل الصالح، والعبد يريد من الله عز وجل الإعانة والتوفيق، ويتبرأ من الحول والقوة إلا بالله جل وعلا.

باب الدعاء .

- معنى الدعاء :

الدعاء بالمد هو الابتهال إلى الله تعالى بالسؤال والرغبة إليه في الخير.

- والدعاء ينقسم إلى قسمين :

دعاء مسألة، ودعاء عبادة .

١/ **ودعاء المسألة**: أنك تسأل الله {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ}.

٢/ **ودعاء العبادة**: دعاء الثناء على الله. يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير). فالدعاء هنا "لا إله إلا الله" هذا ثناء على الله، لكنه دعاء عبادة وثناء على الله عز وجل .

- وينبغي حقيقة أن نراعي عدة أمور ونحن نتكلم عن الدعاء :

وهي: **معرفة آداب الدعاء**، وشروط الدعاء، واختيار الوقت المناسب للدعاء، وأهمها اجتماع حضور القلب مع الدعاء، وأن يقبل العبد بكليته على الله عز وجل، وألا يتساهل في ذلك. يقول النبي صلى الله عليه وسلم كما في حديث النعمان ابن

بشير: (الدعاء هو العبادة). رواه الأربعة، وصححه الترمذي .

وورد عن أنس رضي الله عنه بلفظ (الدعاء مخ العبادة) ولكن رواية أنس ضعيفة .

أما الرواية الصحيحة فهي (الدعاء هو العبادة)؛ لأن الله تعالى يقول: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ}. فتدل على أن العبادة هي الدعاء.

ولا شك أن دعاء الله عز وجل هو أصل عبادته التي تعبّد الله بها خلقه، قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}.

والله تعالى يقول: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} . {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ}.

وكما جاء في الحديث القدسي: (إن الله يستحي أن يرفع إليه العبد يديه يسأله فيردهما خائبتين). وفي رواية (فيردهما صفرا).

بل إن الله تعالى يقول: (أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني). وجاء في الحديث: (أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه).

والله تعالى يقول: {ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً}. ويقول: {بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ}.وهذا كله يدل على أن الدعاء لله عز وجل، وأن العبادة هي الدعاء بنوعيه، دعاء مسألة، ودعاء ثناء على الله عز وجل.

ولذلك على المسلم أن يحرص على أن يكثر من الدعاء، فإن الله سبحانه يحب الملحين في الدعاء، وعلى المسلم أن يحرص على تخير أوقات الإجابة .

- ومن أوقات الإجابة: ما بين الآذان والإقامة .

الحديث الأول:

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الدعاء بين الآذان والإقامة لا يرد). أخرجه النسائي وغيره، وصححه ابن حبان .

وهذا الحديث يدل على فضل الدعاء، وعلى تخير وقت الإجابة وهو ما بين الآذان والإقامة، وهذا وقت فاضل يستحب فيه الدعاء، فإن الإنسان في صلاة ما انتظر الصلاة، وفي بيت من بيوت الله يسأل الله أن يستجيب له دعاءه .

قال شيخ الإسلام: "الدعاء في آخر الصلاة قبل الخروج منها مستحب". وكذلك الدعاء قبل الصلاة أيضًا مستحب، وينبغي للمسلم أن يبكّر للصلاة، وأن يذكر الله عز وجل، وأن يأتي بتحية المسجد، وأن يقرأ القرآن، وأن يدعو بين الآذان والإقامة؛ ليكون من الموفقين لاستجابة دعاءهم في هذا الوقت الشريف .

- أيضًا من الأوقات التي يستجاب فيها الدعاء الثلث الأخير من الليل.

الحديث الثاني:

جاء في الحديث: (إن الله عز وجل ينزل في الثلث الأخير من الليل فيقول: هل من داع فأستجيب له، هل من سائل فأعطيه). والثلث الأخير موضع استجابة الدعاء من الله رب الأرض والسماء.

الحديث الثالث:

حديث سلمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن ربكم حي كريم، يستحي من عبده إذا

رفع يديه أن يردهما صفرا). أخرجه الأربعة إلا النسائي، وصححه الحاكم .

قوله في الحديث (إن الله حي): فيه إثبات صفة الحياء لله عز وجل بما يليق بجلاله وعظمته .

وقوله (يردهما صفرا): صفرا معناها خاليتين، لم يعطيهما من سأله .

وهذا الحديث يدل على مشروعية رفع اليدين في الدعاء، ورفع اليدين كناية عن السؤال والتضرع إلى الله جل وعلا، الفقير إذا راح يسأل شخص يمد يده، وكذلك نحن فقراء بين يدين الله، كما قال موسى:{رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ}.

وفي هذا الحديث دلالة واضحة على أهمية الدعاء وفضله، وأن الله سبحانه يستجيب الدعاء من عبده إذا كان خالصًا موافقًا للإجابة ولا يرد دعوته، **ورفع اليدين في الدعاء من الأحاديث المتواترة تواترًا معنويًا، ورد فيه نحو مئة حديث،** - وكما قلت- فيه إظهار الافتقار والذل لله عز وجل في أن العبد يرفع يديه إلى الجبار جل وعلا، وهذا من كرم الله وفضله وعطفه على من سأل من عباده، أنه يستجيب ولا يرد اليدين خاليتين دون استجابة للدعاء.

وهنا أمر أريد أن أنبه إليه؛ أن لا يظن العبد أنه لابد أن يستجاب لدعوته فورًا، بعض الناس الآن يقول دعوت فلم يستجب لي، لا يجوز أن يستبطئ الإجابة، بل يدعو الإنسان بقلب خاشع خالص صادق، والله سبحانه وتعالى يستجيب متى شاء، قد يستجيب لك الآن، بعد غد، بعد شهر، بعد شهرين وهكذا.

أيضًا لا ينبغي للعبد أن يستبطئ الإجابة، أو أن يدعو بإثم أو بقطيعة رحم، ولا أن يستعجل، والإنسان يدعوا ويستجيب الله دعوته، نعلم في قصص كثير من الأنبياء أنهم أصابتهم مصائب وابتلاءات فكشف الله عنهم بعد مدة، وأيوب عليه السلام قال: {أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ}. ومكث كما يذكر حوالي أربعين سنة، وبعضهم يقول سبع سنوات. يونس عليه السلام في بطن الحوت دعا ربه: {فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ}. ومكث أربعين يومًا في بطن الحوت. ويوسف عليه السلام دعا ربه {فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ}. قيل أنها خمسُ سنواتٍ. فلا ينبغي للعبد أن يستبطئ الإجابة، وإنما يسأل الله عز وجل أن يستجيب دعاءه، والله حكيم خبير يقدر الوقت المناسب.

لذلك كان عمر بن الخطاب يقول: "والله إني لا أحمل هم الإجابة، ولكن أحمل هم الدعاء".

ومن أهم أدب من آداب الدعاء: الإخلاص لله عز وجل، وحل المطعم والمشرب، كما قال عليه الصلاة والسلام لسعد بن أبي وقاص: (أطب مطعم تستجب دعوتك).

أيضًا الحرص على الخشوع والطمأنينة، وأن يقدم بين يدي دعاءه الحمد لله والثناء عليه، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، واختيار الأوقات الفاضلة مثل ليلة القدر، ويوم عرفة، وشهر رمضان، ويوم الجمعة فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم يدعو الله بخير إلا استجيب له وهي آخر ساعة من عصر يوم الجمعة، ومنها جوف الليل الآخر .

سئل النبي صلى الله عليه وسلم أي الدعاء أسمع؟ قال: (جوف الليل ودبر الصلوات).

ففي آخر الليل -الثلث الأخير من الليل-، ودبر الصلوات، أي آخر الصلوات قبل أن تسلم تدعو الله عز وجل في آخر التشهد الأخير.

أيضًا عند النداء للصلاة، وأنت تسمع المؤذن تدعو، يقول النبي عليه الصلاة والسلام: (اثنتان لا تردان: الدعاء عند النداء، وعند البأس). عندما يلتحم بعضهم البعض .

وأيضًا عند نزول المطر، جاء في الحديث: (التمسوا استجابة الدعاء عند نزول المطر من السماء).

الحلقة (١٨)

الحديث الرابع:

حديث عمر رضي الله عنه قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مد يديه في الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه). أخرجه الترمذي.

ويقول الحافظ ابن حجر: إن هذا الحديث له شواهد، منها: حديث ابن عباس رضي الله عنهما عند أبي داود، ومجموع هذه الشواهد يقتضي بأن الحديث حسن .

والعلماء يقولون إن أحاديث مسح الوجه باليدين الغالب عليها الضعف، ولذلك الشيخ العلامة الدكتور بكر أبو زيد رحمه الله له رسالة -جزء- في مسح الوجه باليدين، ورجح رحمه الله أن الأحاديث فيها ضعف وأنه لم يثبت منها شيء، **ويرى الحافظ ابن حجر أن هذه الأحاديث بمجموع طرقها تقتضي أن الحديث حسن**.

وعلى فرض ثبوت الحديث فإننا نقول إن هذا الحديث يدل على مشروعية مسح الوجه باليدين بعد الفراغ من الدعاء، وفي هذا تفاؤل بأن الله تعالى استجاب دعاء السائل المطلوبة، فإعطاء مسئوله بيديه الممدودتين وبعد امتلائهما من عطاء الله سبحانه وتعالى وجوده أفرغ خير الله على وجهه، والله عند حسن ظن عبده به.

إذًا هذا الحديث يدل على مشروعية مسح الوجه باليدين بعد الدعاء.

الحديث الخامس:

حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليَّ صلاة). أخرجه الترمذي، وصححه ابن حبان .

قوله عليه الصلاة والسلام: (إن أولى) ما معنى أولى هنا؟ يعني أقربهم إليَّ وأحقهم بشفاعتي.

من هم هؤلاء؟ هم الأكثر صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .

إذًا هذا الحديث يتناول فضل الصلاة والسلام على خير الأنام نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أمرنا الله تعالى بها، قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}. فهذا أمر من الله عز وجل بالصلاة والسلام على نبينا محمد، وهذا تقديم وتشريف بأن الله سبحانه هو الذي أمرنا، وهذا تشريف لنبينا محمد أن الله وملائكته يصلون عليه، وأنتم يا أمة محمد عليكم أن تصلوا على النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

والإمام ابن القيم له كتاب حافل نافع مفيد في هذا الباب اسمه "جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام"، وأنا أنصح الإخوة الطلاب بالاستفادة من هذا الكتاب، فإنه ذكر فيه أربعين حديث في فضل الصلاة على النبي عليه أفضل الصلاة والسلام.

أيضًا ينبغي لنا أن ندرك وأن نعرف الأجر العظيم الوارد في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، يقول عليه الصلاة والسلام: (من صلى عليَّ صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرة). هذا الحديث في صحيح مسلم. فأنت أيها الأخ المبارك احرص وأنت تقرأ في أي كتاب خاصة كتب السنة النبوية أن تكثر من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، كلما قرأت اسمه وكلما سمعت ذكره في الإذاعة، في دروس المساجد، في خطب الجمعة، عليك أن تبادر بالصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم، وإياك إياك أن تسكت، ولا تصلي ولا تسلم على الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم.

يقول عليه الصلاة والسلام: (البخيل من ذُكرت عنده فلم يصل عليّ). رواه الترمذي وابن حبان في صحيحه. هذا هو البخيل حقًا.

بل يقول النبي عليه الصلاة والسلام:(رغم أنف امرئ ذُكرت عنده فلم يصلِ عليَّ). والحديث رواه ابن حبان .

و(رغم أنفه): معناه أن أنفه يدس في الرغاوة و التراب، كناية عن الانقياد لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم.

النبي عليه الصلاة والسلام يقول: (إن لله ملائكة سياحين يبلغونني عن أمتي السلام). فعليك أخي المبارك، أخي أن تصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وتسلم عليه، فما من أحد يصلي ويسلم على النبي صلى الله عليه وسلم إلا بلّغه الله عز وجل صلاته وسلامه.

ويقول عليه الصلاة والسلام: (من صلى عليَّ فإن الله يرد إليَّ روحي فيبلغني وأرد عليه). ولذلك قيل: كيف يا رسول الله وقد أرمت؟ أي: صرت رميمًا، قال: (إن الله حرّم على الأرض لحوم الأنبياء). فالنبي حي في قبره حياة برزخية الله أعلم بها، يسمع سلام من سلم عليه من أمته ويبلغه الله صلاته وسلامه.

ينبغي علينا أيضًا أن نعتني في الصلاة والسلام على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أن نجمع بين الصلاة والسلام ،

لا تقول صلى الله عليه وتسكت، ولا تقول عليه السلام وتسكت، إنما تقول صلى الله عليه وسلم، أو تقول عليه الصلاة والسلام، تجمع بين الصلاة؛ لأن الله تعالى يقول: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}. فإياك إياك أخي الموفق أن تحرم نفسك من ذلك، والحذر الحذر من طلبة العلم أن يكتفوا بالرموز يقولوا(ص)، أو (صل)، أو (صلعم)، لا، لا تجوز، **وللشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله سماحة الوالد فتوى في هذا أنه يحرم الاقتصار على الرموز**، بل لابد أن تكتب خطًا وتنطق لفظًا.

أيضًا من الأمور المهمة أنه إذا ذُكر أحد من الأنبياء نقول عليه السلام فقط، كما قال تعالى: {سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ}، {سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ} فالسلام للأنبياء فقط، والترضي على الصحابة رضوان الله عليهم.

- **ما هي فوائد الصلاة والسلام على خير الأنام ؟**

الإمام ابن القيم ذكر في الكتاب الذي نصحتكم به "جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام" فوائد جمة وعديدة منها :

أولًا: **امتثال أمر الله تعالى** في قوله: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}.

ثانيًا: **الحصول على عشر حسنات**؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (من صلى عليّ صلاة صلى الله عليه بها عشرا). فيحصل له عشر صلوات.

ثالثًا: **يرجى إجابة دعاءه**، فإن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (كل دعاء محجوب حتى يصلى عليّ)، وفي رواية: (الدعاء بين السماء والأرض حتى يصلى عليّ). فيختم بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

أيضًا ذكر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم تطييب للمجالس، وفيها دوام للمحبة لله عز وجل، وهداية العبد، وأيضًا يحفظ العبد بها نفسه من أن يكون بخيلًا، فالبخيل من ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصلي عليه.

- **ما معنى الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ؟**

الصلاة من الله سبحانه على نبيه معناها رحمته ومغفرته والثناء عليه صلى الله عليه وسلم: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}.

هذه بعض الآداب والفضائل الواردة في الصلاة والسلام على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

• متى تستحب وتتأكد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ؟

أولًا: كلما ذكر، (البخيل من ذكرت عنده فلم يصلي عليّ) .

ثانيًا: في التشهد الأخير من الصلاة، وهي ركن لابد الإتيان به.

ثالثًا: عند دخول المسجد، إذا دخل أحدكم المسجد فليقل: (بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله)، فهناك مواضع تتأكد فيها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

رابعًا: تستحب عند بداية خطبة الجمعة.

خامسًا: عند بداية دروس العلم ينبغي أن نبدأ بالحمد لله والصلاة والسلام على رسول الأنام صلى الله عليه وسلم.

والحديث لاشك في فضائل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم يطول، لكن هذه لمحات وعبارات وجيزات.

الحديث السادس:

ننتقل إلى حديث شداد بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللّهُمَّ أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني، وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ، وأبوء بذنبي فأغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت). أخرجه البخاري.

هذا الحديث هو حديث سيد الاستغفار، وأجزم أن جميع الطلاب يحفظونه ويقولونه صباحًا ومساءً، ومن قال هذا الدعاء في الصباح أو في المساء غُفر له ما تقدم من ذنبه .

☑ الكلمات الغريبة:

(سيد الاستغفار): السيد في الأصل هو الرئيس، وهذا الاستغفار جُعل سيدًا؛ لأنه من أجمع الأدعية وأشملها في الاستغفار والاعتراف بالذنوب .

(وأنا على عهدك): أي ما عاهدتك عليه من الإيمان والإخلاص والطاعة لله عز وجل.

(ما استطعت): أي مدة استطاعتي، فاغفر لي تقصيري وعدم استطاعتي، وبحمد الله، الله تعالى يقول: {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ}. ويقول تعالى: {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا}.

(أبوء لك بنعمتك وأبوء بذنبي): أبوء هنا معناها أعترف، وباء معناها نزل بالمكان (فليتبوأ مقعده من النار).

ولكن هنا في الحديث معناها: إنني أعترف وأشكرك وألتزم إليك بنعمك التي أنا مقصر فيها.

☑ هذا الحديث فيه فوائد جمة، وأحكام مفيدة وآداب جليلة أهمها ما يلي:

أولًا: هذا الحديث يسمى سيد الاستغفار؛ لأنه احتوى على معاني التوبة والتذلل للعزيز الغفار، يقول الإمام الطيبي في شرح المشكاة: "لما كان هذا الحديث جامعًا لمعاني التوبة استعير له اسم السيد الذي هو في الأصل الرئيس الذي يقصد إليه في الحوائج ويرجع إليه في الأمور".

وجمع هذا الحديث من بديع المعاني وحسن الألفاظ ما يحق أن يسمى بسيد الاستغفار، فإنه **اشتمل هذا الحديث السيد الشريف على اعترافات ترجع إلى الله تعالى بما يستحقه وبما هو أهله من العظمة والإجلال، وترجع إلى العبد بما فيه من الذل والخضوع والانكسار بين يدي الجبار جل وعلا.**

ثانيًا: هذا الحديث فيه الإقرار لله تعالى بالربوبية، وأنه هو الخالق الرازق المعطي المانع القابض الباسط المحي المميت المدبر لجميع الأمور، وفيه الإقرار لله تعالى بالعبودية والإلوهية والوحدانية جل وعلا لا شريك له سبحانه .

ثالثًا: في هذا الحديث إقرار من العبد بأنه خاضع ذليل أمام خالقه، وإقرار بالالتزام بالوفاء بالعهد الذي أخذه الله عز وجل عليه، قال الله تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ}.

رابعًا: قوله: (ما استطعت) في الحديث تدل على أن الإنسان يحرص على القيام بما يستطيع قدرة استطاعته، والله تعالى يقول: {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}.

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم).

فهو اعتراف من العبد بالتقصير والعجز وأنه يبذل وسعه فيما يستطيع، أما ما لا يستطيع فيعتذر إلى الله عز وجل ويتوب إليه.

خامسًا: وقول العبد: (أعوذ بك من شر ما صنعت): يقول ابن القيم: "التجئ واعتصم، فالمستعيذ مستتر بمعاذ ومتمسك به ومعتصم به، والاستعاذة بقلب المؤمن معنى قائم وراء هذه العبادة التي ليست إلا إشارة وتفهيما، وإلا فما يقوم بالقلب حينئذ من الالتجاء والاعتصام والإنطراح بين يدي الرب والافتقار إليه والتذلل بين يديه أمر لا تحيط به العبارة".

أيضًا يقول الإمام ابن القيم: "المستعاذ به هو الله وحده، الذي لا ينبغي الاستعاذة إلا به جل وعلا، فلا يستعاذ بأحد من خلقه، فهو الذي يعيذ المستعيذين ويعصمهم ويمنعهم من شر ما استعاذوا من شره". وقد أخبر الله في كتابه عمن استعاذ بخلقه أن استعاذته زادته طغيانًا.

وهذا الحديث يدل على أن أنواع الشرور المستعاذ منها لا تخلو من قسمين :

إما شر وقع به من غيره .

وإما ذنوب وقعت منه يعاقب عليها .

فيكون وقوع ذلك بفعله وقصده وسعيه، ويكون هذا الشر هو الذنوب وموجباتها، وهو أعظم الشرين وأدومها وأشرهما اتصالًا بصاحبه، والذنوب الذي يستعيذ منها بهذا الحديث الشريف هي من فعل العبد وقصده، فهو يستعيذ من شرها لأنها موجبة للعقاب وللعقوبة، إلا أن يعيذه الله عز وجل ويغفر له ويرحمه بمنه وفضله، وأقوى سبب لمنع شر الذنوب التوبة النصوح، والاستغفار لعلام الغيوب جل وعلا.

سادسًا: في قول العبد في آخر هذا الحديث: (أبوء لك بنعمتك عليّ): إقرار واعتراف بنعم الله تعالى على عباده، فهو المنعم المتفضل الوهاب جل وعلا، هو المستحق للحمد والشكر على نعمه التي لا تحصى وأفضاله التي لا تحد ولا تعد .

سابعا: هذا الحديث يدل على أن المقاصد لا ينبغي أن تطلب إلا بوسائلها الصحيحة وأسبابها الموصلة، أما التعلل مع الأسف بالخرافات وبالوسائل الشركية، مثل: التوسل بالقبور، ودعاء الموتى، هذا لا ينفعهم، كما كان الكفار يقولون: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى}. هؤلاء لو نفعوا لنفعوا أنفسهم، هم في قبورهم لا ينفعهم ذلك، وهذه لا تزيد العبد من الله إلا بعدًا، بل عليه أن يحقق التوحيد الخالص لله جل وعلا، وأن يحذر من الوقوع في الشرك، وأن يعترف لله عز وجل بتقصيره وذنوبه، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول: (خير الخطاءين التوابون).

ويقول عليه الصلاة والسلام: (لو لم تذنبوا لأتى الله بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر الله لهم).

وينبغي للعبد أن يستغفر الله {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا (١٢)} .

هذه كلها ثمار الاستغفار، فما بالك أخي الكريم بالدعاء بسيد الاستغفار! فاحرص وفقني الله وإياك على أن تكون حافظًا

لهذا الدعاء وأن تأتي به وتقوله كل صباح وكل مساء، وليكن دائمًا دعاؤك بعد صلاة الفجر، وقبل صلاة المغرب أو بعدها، سيد الاستغفار، أن تقول: (اللّهُمَّ أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني، وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ، وأبوء بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت). أخرجه البخاري.

هذا الحديث ورد في فضله أن من قاله ومات في يومه دخل الجنة، ومن قاله ومات من ليلته دخل الجنة. وهذا من فضل الله عز وجل.

وهذا أيضًا ينبغي أن ننشره وأن نرويّه لأولادنا وإخواننا وزملائنا وجيراننا ليكون لنا أجر الدالين على الخير، هذا الدعاء العظيم الذي يسمى سيد الاستغفار: أي أفضل وأشرف أنواع الاستغفار، هذا الاستغفار الذي فيه الاعتراف للعلي الغفار جل وعلا والكريم الجبار تعالى وتقدس بهذه الذنوب والخطايا. فعليك أيها الأخ الموفق أن تحرص على الإتيان بأذكار المساء والصباح كل يوم وليلة وأن تبدأها بسيد الاستغفار.

الحلقة (١٩)

الحديث السابع:

حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدع هؤلاء الكلمات حين يمسي وحين يصبح: (اللّهُمَّ إني أسألك العافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللّهُمَّ استر عوراتي وآمن روعاتي، واحفظني من بين يدي ومن خلفي، وعن يميني وعن شمالي، ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أُغتال من تحتي). أخرجه النسائي وابن ماجه، وصححه الحاكم. إذا الحديث صحيح .

في هذا الحديث يرشدنا ويعلمنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يدع هؤلاء الكلمات -أي هذه العبارات- كل صباح وكل مساء، وهذه تسمى أذكار الصباح والمساء، أو يسميها السلف عمل اليوم والليلة، أو الورد اليومي، أو الورد الليلي، وهكذا.

☑ الكلمات الغريبة:

(اللّهُمَّ إني أسألك العافية). والعافية: هي تمام الصحة في البدن، ولذلك كان يقول عليه الصلاة والسلام لأبي بكر: (سل الله العفو والعافية). العفو: المغفرة، والعافية: الصحة في البدن.

(اللّهُمَّ استر عوراتي). العورات هنا: جمع عورة وهي ما يستحى منه من الجسم من عيوب أو من الذنوب، والإنسان بطبعه لا يحب أن يعلم أحد بأموره الخاصة، والعورات المقصود بها: ما ينبغي ويجب على المسلم ستره من السرة إلى الركبة، وتشمل أعضاء البدن بحيث أن الإنسان يكون حييًا متصفًا بصفات الاحتشام والمظهر الجميل، وكذلك النساء ينبغي عليهن الحرص على الاحتشام وعدم التبرج والسفور.

(آمن روعاتي): يعني: آمن فزعي .

(أعوذ بعظمتك) أي: التجئ بعظمة الله عز وجل، وهي صفة من صفاته جل وعلا، والمقصود بها قدرته النافذة وكبريائه وعظمته المطلقة، فالسائل يستعيذ ويلتجئ من الشعور بعظمة الله وقدرته المحيطة بكل شيء.

(أن أغتال): الاغتيال هنا المقصود به القتل غيلة، بمعنى أن أهلك من حيث لا أدري.

هذه الأدعية والكلمات الجامعة من النبي صلى الله عليه وسلم -كان لا يدعها صباحًا ولا مساءً- لتكون حصنًا لهم من

الآفات وحرزًا لهم من الشروط وأمانًا من المكاره، فعلى المسلم أن يلازمها ولا يدعها اقتداءً بسنة النبي صلى الله عليه وسلم، وحفظًا لنفسه من الشرور.

والأذكار حصنٌ للمسلم يحفظه الله عز وجل بها، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول: (من قال بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم لم يضره شيء). أي يحفظه الله.

ومن قال: (حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم كفاه الله ما أهمه من أمري الدنيا والآخرة).

والإنسان بطبعه عنده هموم من أمور الدنيا ومن أمور الآخرة، فإذا قلت هذا الدعاء كل صباح سبع مرات وكل مساء سبع مرات كفاك الله ما أهمك من أمري الدنيا والأخر.

☑ الكلمات الغريبة:

لو تأملنا هذا الحديث وجدنا النبي عليه الصلاة والسلام يسأل الله تعالى(العافية في الدين).

والمعافى في دينه هو: الذي يسلم من المعاصي والكبائر والذنوب ومن البدع، ومن الوقوع في المخالفات الشرعية أو ترك الواجبات وغيرها، والعافية في الدنيا السلامة في البدن والسلامة من الشرور، ومن حقوق الناس، ومن الأذى وما يلحق بذلك، ويسأل الله عز وجل ستر عورته.

وستر العورات المقصود بها: أن يستر الله عليه أعماله القبيحة ولا يراها أحد، وأن يرزقه التوبة النصوح، ولا يفضحه على رؤوس الأشهاد، وقيل: أنه يشمل ستر عورته بالرزق الحلال، فيستره عن أن يتسول أو يحتاج أو يقترض أو يستدين من أحد، فيرزقه الله عز وجل الستر والكفاف والسلامة.

(آمن روعاتي)، والمقصود بذلك أن الله يحفظه ويؤمنه من فجائع الدنيا ومن مصائبها، ومن روعات يوم القيامة. يقول الله عز وجل: {يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ}. ولذلك الإنسان يسأل الله أن يؤمن روعاته في الدنيا وفي الآخرة، وفي الدنيا أن الله عز وجل يرزقه الأمن والاطمئنان.

والنبي عليه الصلاة والسلام ذكر في كثير من الأحاديث فضل الأمن والطمأنينة، كان مرة عليه الصلاة والسلام أرقًا أي خائفًا قلقًا في الليل فقال: (ليت رجلًا صالحًا من أصحابي يحرسني الليلة)، فجاء سعد بن أبي وقاص فحرس النبي صلى الله عليه وسلم فنام، تقول عائشة: حتى سمعنا غطيطه، مما يدل على أهمية الأمان والطمأنينة وعدم الخوف، ثم أنزل الله عز وجل قوله تعالى: {وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ}.

ولذلك الله تعالى يقول: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ}. **فأول شرط وأهم شرط في تحقيق الأمن: الإيمان، والسلامة من الشرك** {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ}، فإياك أخي الكريم أن تخدش إيمانك أو حياءك أو توحيدك الخالص لله عز وجل، والله سبحانه امتن على العباد بالأمن بالأوطان والصحة في الأبدان، قال الله تعالى في قصة قريش: {الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ}. أطعمهم من جوع هذا كناية عن الأكل والشرب، وآمنهم من خوف: كناية عن الأمن والطمأنينة.

وأمتن الله على قوم سبأ في قوله تعالى: {بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ}. فالبلدة إذا كانت طيبة، هواؤها طيب، ثمارها طيبة، لاشك أن هذا يكون أفضل وأحسن.

ولذلك الإنسان يسأل الله عز وجل أن يحفظه حفظًا كاملًا وصيانة تامة من جميع الجهات، فلا تخلص إليه الشرور، ولا تصل إليه المصائب، فيحاط بحصن من الله عز وجل من بين يديه ومن خلفه، ويستعيذ ويلتجئ إلى الله عز وجل أن يغتال

من تحته من حيث لا يشعر، مثلًا: أن يخسف به كما خسف بقارون نسأل الله السلامة، أو أن رجلًا كان يتكبر في الأرض فتجلجل في الأرض نسأل الله العافية وخسف به وهكذا، أو يغرق كما غرق فرعون، أو يأتيه حادث من الحوادث المريعة، حوادث المرور أو حوادث البنايات والهدم، الزلازل، البراكين، كل هذه -نسأل الله العافية- حوادث، وهذا يؤكد موت الفجأة الذي يصيب الناس في آخر الزمان، فاحرص أخي الطالب وفقني الله وإياك لطاعته على أن تردد هذه الكلمات مع كل صباح وكل مساء، تقول: (اللَّهُمَّ إني أسألك العافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللَّهُمَّ استر عوراتي وآمن روعاتي، واحفظني من بين يدي ومن خلفي، وعن يميني وعن شمالي، ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أُغتال من تحتي). هذا هو الحديث الذي كان يقوله النبي صلى الله عليه وسلم عندما يصبح وعندما يمسي.

الحديث الثامن:

ننتقل إلى حديث آخر أيضًا كان يقوله يرويه لنا ابن عمر، يقول ابن عمر رضي الله عنهما: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:(اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفجاءة نقمتك، وجميع سخطك). أخرجه مسلم.

☑ الكلمات الغريبة:

(اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من زوال نعمتك): زوال النعمة أي: تحولها وانتقالها من شخص إلى آخر، أو من نعمة إلى نقمة، نسأل الله العافية.

(وتحول عافيتك): أي أن تتبدل العافية مرضًا، فبدل أن تكون سليمًا معافى تكون مريضًا مبتلى.

وعلى المريض دائمًا أن يلح على الله في الدعاء، قال تعالى: {وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ}. وما يكون من أدوية ومن علاج إنما هي أسباب ووسائل، ولكن الشافي والمعافي هو الله سبحانه وتعالى.

(فجاءة نقمتك): فجاءة النقمة من ناحية اللفظ اللغوي بضم الفاء فُجاءة، وتكون أحيانًا بفتح الفاء فَجاءة، والمقصود بذلك هي الأخذ بغتة -نسأل الله العافية-، مثل موت الفجاءة، الأخذ بغتة من غير توقع، فيصيب الإنسان موت فجاءة مثل حوادث الطرق، مثل حوادث الكهرباء، مثل الحوادث التي تحصل للإنسان الآن، قد يغرق، قد يتعرض لأي حادث دهس أو شيء، فالإنسان يسأل الله السلامة .

(اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفجاءة نقمتك، وجميع سخطك). هذا الحديث يشتمل على أدعية نبوية شريفة ومعاني سامية ومطالب عالية من الله عز وجل، فيسأل الله عز وجل وهو المنعم المتفضل سبحانه أن يعصمه وأن يعيذه من زوال نعمته، وأن تبقى هذه النعمة وأن تقر، والنعم إذا شُكرت قرت وإذا كُفرت فرت، فيسأل الله عز وجل استمرار هذه النعم وعدم تحولها، وإذا تحولت هذه النعمة فإنما هو بسبب الذنوب والمعاصي، قال تعالى: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ}. ولو أن الله يعاقب العباد على كل ذنب، قال تعالى: {وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ}، فنعلم أن الله عز وجل يتجاوز عن عباده، كما قال تعالى: {وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ}. ولو يؤاخذ الله الناس بما ظلموا فإنه سبحانه ينتقم منهم، قد يجازيهم، لكن الله عز وجل يؤجل هذا ويعفو ويتجاوز ويستر، فهو التواب الغفور الوهاب سبحانه .

وإذا انتقم الله عز وجل فإنه ينتقم من عبده بتحول عافيته، فيستعيذ بالله تعالى من أن تنتقل العافية إلى غيره، أو تنتقل العافية منه فتتحول إلى مرض ووباء و يعاني من المرض وغير ذلك.

ثم سأل الله عز وجل السلامة من فجاءة نقمته، وهي: البغتة التي تأخذ الإنسان بحيث أنه يموت فجاءة دون سابق إنذار، أو يعلم بذلك فحينئذ يفجئه الموت وقد لا يكون مستعدًا له، قد يكون على معصية، وقد لا يرزق حسن الخاتمة، فعلى

الإنسان دائمًا أن يستعد للموت، والله تعالى يقول: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ}.

وجاء عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: (أكثروا ذكر هادم اللذات)، ويقول: (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه)، فعليك أن تتذكر أنك ملاق لله مقبل عليه، وكان يقول عليه الصلاة والسلام قبل الصلاة: (صلوا صلاة مودع)، ويقول لابن عمر: (إذا أصبحت فلا تنتظر المساء وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح)، (وكن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل). ولذلك يقول النبي عليه الصلاة والسلام: (اللَّهُمَّ إني أعوذ بك ... من جميع سخطك). يستعيذ بالله من جميع الشرور والأمور التي توجب سخط الله عز وجل، وهذا يكون بسبب المعاصي والذنوب وانتهاك المحرمات وترك الواجبات.

الحديث التاسع:

هذا حديث من أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام التي كان يدعو بها، وكذلك روي عن عبد الله بن عمر، وهذا فيه دلالة على حرص ابن عمر على التأسي، وابن عمر كان من أشد الصحابة اقتداءً وتأسيًا بالنبي صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله، حتى أنه كان في سفر فوقف عند شجر، فسئل، فقال: وقف عندها رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل روي أنه وهو في السفر بال في مكان، فسئل عن ذلك فقال: رسول الله وقف عنده فبال، فكان يحرص على التأسي بالنبي عليه الصلاة والسلام، ويقتفي أثره حتى في مواضع السفر، في مواضع وقوفه وجلوسه صلى الله عليه وسلم.

يقول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من غلبة الدين، وغلبة العدو، وشماتة الأعداء). رواه النسائي، وصححه الحاكم.

☑ معاني الكلمات:

(غلبة العدو) قهرهم وتسلطهم على المؤمنين .

(وشماتة الأعداء) معناها فرحهم وسرورهم بهزيمة المسلمين، نسأل الله ألا ينصر الأعداء علينا، وأن ينصر المسلمين، ويقوي شوكتهم، ويجمع كلمتهم .

(اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من غلبة الدين)، **والدين: هو المال الذي يقرضه شخص لآخر**، فيستعيذ بالله من غلبة الدين، والمقصود هو الدين الذي ليس عند المدين ما يقضيه به، فإذا كان عنده ما يقضيه فليبادر، أما إذا لم يكن فإنه يستعيذ بالله من غلبة الدين، أن يغلب عليه ويتسلط عليه الدائن، ويكون ذلك سببا في الهم والغم، ويكون صاحبه في قلق وتعب ويفكر في ذلك، ومما لا شك أن حقوق الآدميين مطلوب أداءها، ولا يتساهل الإنسان في حقوق الناس، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيذ بالله من المغرم وهو الدين ويقول: (إن الرجل إذا غرم حدَّث فكذب ووعد فأخلف)، وهذا يدل على كما يقول العوام: "الدين هم بالليل وذل بالنهار"، وعلى الإنسان أن يحرص ألا يستدين إلا لضرورة، مثلًا: شراء أدوية، شيء مهم جدًا، أو نحو ذلك، أما ما يفعل بعض الناس يستدين ويحمِّل نفسه قروض من أجل شراء سيارة أو تغيير أثاث في المنزل أو نحو ذلك هذه كماليات فلا تحمِّل نفسك هذه المبالغ والتكلفة وحينئذ تعاني من هم الدين، وكان الرسول يستعيذ بالله من غلبة الدين وقهر الرجال .

والدين ينبغي للإنسان أيضًا أن يوثقه، كلنا نعلم آية الدين: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ}. على الإنسان أن يكتب، فقد تموت ويأتي ورثتك يسألون كم الدين؟ قد يأتون أناس بعد وفاتك نحن استدنا أو دينا هذا الرجل، أعطيناه، فلا يعلم هل هو صادق أم كاذب، فالكتابة تثبت هذا الشيء، وتحرره، وعليك أخي المبارك أن تحرص على الإشهاد على الدين، تشهد أولادك، زوجتك، تقول فلان يطلبني كذا، أو أحد إخوانك، أو نحو ذلك.

أيضًا من الأمور المهمة في الديون أنك عند الاستدانة تحرص على عقد العزم على الوفاء، لا بد أن تجعل في قلبك عزيمة

صادقة على أنك ستسدد، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله). فإياك إياك أيها الموفق أن تأخذ أموال الناس ثم تماطل (ومطل الغني ظلم)، أو تجحد أو تسافر أو تغير رقم جوالك، أو تغير مكان عملك، وتماطل، لا يجوز، فعلى الإنسان أن يحرص على قضاء ديون الناس وألا يماطل أو يسوِّف ونحو ذلك.

(اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من غلبة العدو). والغلبة معناها انتصار العدو، وهذا يؤدي إلى الذل والمهانة والحقارة على المسلمين، والعدو إذا تسلط لا يرحم ولا يشفق، إنما يقسو ويعيث في الأرض فسادًا، ولكن كلمة الله هي العليا، والقسوة وتسلط الأعداء قد يسبب الجلاء من الديار، كما حصل الآن مثلًا في فلسطين، هجِّروا عن بلادهم، وتسلط- هلاكًا في الأعمار - وخرابًا في الديار، وانتشارًا للأرامل والأيتام كما يحصل في بعض البلاد التي فيها حروب وفتن نسأل الله العافية. وتأمل أخي الكريم ما حصل في بعض بلاد المسلمين تجد أن ذلك واضح جلي، تتعرض بعض الأقليات الإسلامية في بعض الدول المتسلطة عليهم وتتسبب في تهجيرهم من بلادهم أو التضييق عليهم وظلمهم وحرمانهم من كثير من حقوقهم.

(شماتة الأعداء)، وهو فرحهم بما يصيب المسلمين من نكبات ومن مصائب، أو فرح بعض الناس بما يصيب الإنسان في ماله أو بدنه.

الحلقة (٢٠)

الحديث العاشر:

حديث بريدة رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلًا يقول: اللَّهُمَّ إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا اله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد سأل الله باسمه الذي إذا سُئِل به أعطى وإذا دُعي به أجاب).

الحديث أخرجه الأربعة وصححه ابن حبان، وهذا الحديث يقول عنه الحافظ ابن حجر إنه أرجح ما ورد في اسم الله الأعظم من حيث الإسناد، وحسنه جمع من أهل العلم منهم الإمام السخاوي والشوكاني وغيرهم.

☑ معاني الكلمات:

(الأحد): هو الواحد الذي لا شريك له في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته.

(الصمد): هو السيد الذي يصمد إليه الخلق في الحوائج ويقصدونه في المطالب، من صمد إليه وقصده استجاب دعائه.

(كفوًا): الكفو في لغة العرب هو الشبيه والمثيل والنظير، فهو جل وعلا ليس له من خلقه مكافئ ولا مماثل ولا مشابه، حاشا وكلا، جل وعلا سبحانه {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}.

هذا الحديث لو تأملناه يدل على فائدة تربوية مهمة جدًا: وهي حسن خلق النبي صلى الله عليه وسلم وتربيته أصحابه على الأخلاق الفاضلة، كيف والله تعالى يقول: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ}. ويقول تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}.

الرسول سمع صحابيًا، وهذا من مثابة الأستاذ سمع التلميذ، والشيخ سمع الراوي، ومع ذلك أثنى عليه النبي عليه الصلاة والسلام، لم يقل أنا الرسول وهذه الأدعية أنا التي أقولها فقط، وأنتم كيف تعرفون هذا، من الذي علمكم، من أين أتيتم بهذا الدعاء، لا، الرسول أثنى عليه وذكر مزية وخصيصة لهذا الدعاء وهي أن فيه اسم الله الأعظم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب .

(اللَّهُمَّ إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله) اعتراف لله عز وجل بوحدانيته جل وعلا.

(لا إله إلا أنت) أي توسل لله عز وجل بالأعمال الصالحة المستحبة، قال تعالى: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا}. وليس في الذكر أجمل من هذا الدعاء ومن هذه الجملة؛ لما اشتملت عليه من إفراد الله عز وجل بالعبادة ونفي الشرك .

(الأحد) أي الواحد في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، فهو الأحد المنفرد بصفات الكمال المطلق.

(الصمد) هو الذي تصمد إليه جميع الخلائق، فهم مفتقرون إليه غاية الافتقار ويرغبون إليه، ولو أن المبتدعة وبعض العامة من الجهال المقلدة يعرفون هذا الحديث حق معرفته ما دعوا غير الله عز وجل، يذهبون مع الأسف إلى الأضرحة وإلى القبور يتوسلون ويسألون، ونسوا أن الله تعالى يقول: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ}، (إذا سألت فسأل الله) ، هذا صاحب القبر ما ينفع حتى نفسه، لو أراد أن ينفع كان نفع نفسه لكن لا يستطيع، وكذلك الأشجار والأوثان والتضرع بها ونحو ذلك استعانة بالشياطين، كل هذه أمور لا شك أنها مخالفات شركية .

والله سبحانه وصف نفسه بأنه {لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ}. تعالى الله عز وجل عن الوالد والولد، والله سبحانه وتعالى له صفات الكمال والجمال جل وعلا، قال تعالى {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ}. يعني لا يناظره ولا يكافئه ولا يماثله أحد جل وعلا .

ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم في أخر هذا الحديث (لقد سألت الله باسمه الذي إذا سُئل به أعطى وإذا دُعي به أجاب). وفي رواية (لقد سأل الله باسمه الأعظم). وهذا دليل على أن السائل أعطي الإجابة على هذا الدعاء؛ لأنه شرف باسم الله الأعظم، وسأل الله عز وجل بأعظم اسم من أسمائه.

واختلف حقيقة في اسم الله الأعظم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب على أربعين قولا، والإمام السيوطي له رسالة في هذا، **واختلف العلماء في تحديد اسم الله الأعظم على أحاديث كثيرة وأقوال عديدة:**

الحافظ ابن حجر يرجح أن من حيث الإسناد أقوى الأحاديث الواردة في اسم الله الأعظم هو الحديث الذي معنا هنا (الله لا إله إلا هو الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد).

وبعض أهل العلم ومنهم الإمام ابن علان يرجح أن اسم الله الأعظم لفظ الجلالة، لأنه أعظم اسم من أسمائه جل وعلا، وقد امتاز عن غيره من الأسماء والصفات بمميزات ليست في غيره من الأسماء، بل يقول سيبويه عن لفظ الجلالة الله إن الإنسان ينطقه من الجوف، فلا يكن شيء من الحروف على اللسان ولا على الشفاه، وهذا دليل على أنها تخرج من القلب من الجوف، والله أعلم بالصواب في ذلك، وعلى المسلم أن يحرص على التضرع لله عز وجل، وسؤاله بكل أسمائه، ويتوسل إليه جل وعلا، وأن يتحرى الأحاديث الثابتة في أسماء الله الحسنى.

الحديث الحادي عشر :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أصبح يقول: (اللَّهُمَّ بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك النشور). وإذا أمسى قال مثل ذلك إلا أنه قال: (وإليك المصير). وهذا الحديث أخرجه الأربعة، وصححه الترمذي وابن حبان، وحسنه الشيخ الألباني وغيره .

هذا الحديث من الأذكار التي تقال في الصباح وفي المساء، ويبدأ الإنسان يومه بذكر الله، ويبدأ ليلته بذكر الله عز وجل.

☑ معاني الكلمات :

(بك أصبحنا) الباء هنا للاستعانة، أي أنني أستعين بك يا رب في هذا الوقت الذي دخلناه، في وقت الصباح، وكذلك في وقت النشور، وإنك أنت يا رب المنعم المتفضل علينا بأن نشهد هذا الصباح وهذا المساء، الله هو الذي أيقظك من نومك، وإلا كنت نائمًا، والنوم هو الموتة الصغرى {وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ} . بل كان الرسول عليه

الصلاة والسلام إذا قام من نومه يقول: (الحمد لله الذي أحيانا من بعدما أماتنا وإليه النشور).

(إليه النشور) النشور هو البعث بعد الموت، وفيه مناسبة: ذكر النشور بعد الموت مثل الاستيقاظ بعد النوم.

(وإليه المصير) أي إليه المرجع والمعاد، فكما أن العبد ينام في آخر الليل فكذلك سيؤول أمره في يومٍ ما إلى ربه جل وعلا.

☑ الفوائد من هذا الحديث :

أولًا: المداومة عليه في الصباح والمساء ، هذا من أذكار الصباح والمساء.

ثانيًا: الاعتراف لله عز وجل بفضله، وأنه جل وعلا بسبب نعمه وإيجاده لنا هو الذي جعلنا ندخل في وقت الصباح ونشهد الليل والنهار.

ويقول الإمام النووي رحمه الله: "اعلم أن أشرف أوقات الذكر في النهار بعد صلاة الصبح".

ويقول ابن علان: "إنما فضل الذكر في هذا الوقت لكونه تشهده الملائكة".

وينبغي للمسلم أن يحرص على أن يذكر الله عز وجل في الصباح وفي المساء ليحفظه الله عز وجل، وأن يبدأ يومه بصلاة الفجر ثم يذكر الله عز وجل، وكذلك الليل يبدأه بصلاة المغرب ويذكر الله عز وجل ويختمه بصلاة الوتر.

الحديث الثاني عشر :

حديث أنس رضي الله عنه قال: (كان أكثر دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ربنا أتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار). متفق عليه.

هذا الحديث يدل على أنه موافق للآية القرآنية الكريمة في أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو بها.

➢ واختلف في المراد بالحسنة في الدنيا :

قال مجاهد: "الحسنة في الدنيا هي الزوجة الصالحة".

وقيل: هي جميع الأعمال الصالحة التي يعملها العبد في الدنيا من الحسنات، وفي الآخرة لا شك أنها هي الجنة .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم كثيرًا ما يدعي بهذه الآية ويرددها؛ لأنها جامعة لخيري الدنيا والآخرة، فالحسنة ها هنا هي النعمة، فيسأل الله نعيم الدنيا والآخرة، ويستعيذ بالله من عذاب النار، وهذا الدعاء من أجمع الأدعية ومن أشملها ومن أنفعها؛ لما فيه من الحصول على العلوم النافعة والأعمال الصالحة والعافية من الأمراض والتوفيق في الحياة بالزوجة الصالحة وبالمال وبالأبناء الصالحين، وحسنة الآخرة لا شك أنها هي الجنة، والإنسان يسأل الله عز وجل أن يرزقه الجنة، والجنة يقول الله تعالى: {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}. ويسأل الله الوقاية من النار، قال تعالى: {فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ}. نسأل الله أن يوفقنا لدخول الجنة وأن ينجينا بمنه وفضله من النار .

الحديث الثالث عشر :

حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم). متفق عليه.

والمؤلف الحافظ ابن حجر قلد الإمام البخاري في أنه ختم البلوغ بهذا الحديث كما ختم البخاري صحيحه بهذا الحديث الشريف؛ اقتداء بهدي النبي صلى الله عليه وسلم، فإن الله ختم رسالة نبينا بقوله {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا}.

وأيضًا ينبغي للإنسان أن يحمد الله وأن يشكره على كل عمل يوفقه الله عز وجل إليه، وبالمناسبة هذا الحديث رواه

الشيخان عن أبي هريرة، وهو حديث غريب لم يرويه عن الرسول إلا أبا هريرة، وتفرد الرواة عنه إلى آخر السند، فهو حديث غريب، فرد، وهذا الحديث هو آخر حديث صحيح البخاري، وهو غريب، وأول حديث في صحيح البخاري غريب، حديث عمر (إنما الأعمال بالنيات)، وهذا من الموافقات أن البخاري بدأ بغريب وختم بغريب.

وهذا الحديث كما قلت هو آخر حديث في بلوغ المرام، والحافظ ابن حجر لما انتهى من هذا الحديث كتب: فرغ منه مصنفه -يعني الحافظ ابن حجر أحمد بن علي بن حجر العسقلاني- في حادي عشر شهر ربيع الأول سنة ثمان وعشرين وثمانمائة، حامدا لله تعالى ومصليا على رسوله ومكرمًا ومبجلًا ومعظمًا .

فهذه العبارة ختم بها الحافظ ابن حجر رحمه الله كتابه البلوغ، وقد ألفه ولخصه لابنه بدر الدين، وما أحسن عبارته حينما ذكر أولًا اسمه، ثم ذكر الشهر، وهذا مهم جدًا للإخوة الطلاب، تكتبوا على أوراقكم ومذكراتكم وبحوثكم التواريخ؛ لتعرف متى كتبته في أي سنة؛ لأنك إذا رجعت إليها فيما بعد تستفيد منها، والحافظ ألفه سنة ثمان وعشرين وثمانمائة، وهو قد ألّفه مبكرًا؛ لأن الحافظ توفي سنة ثمانمائة واثنين وخمسين، فهذا ألفه سنة ثمانمائة وثمان وعشرين، وختمه بقوله حامدًا لله تعالى ومصليًا على رسوله ومكرمًا ومبجِلًا ومعظِّمًا .

تمت بحمد الله ..